

التوسيع الفنيقي في غرب البحر المتوسط

**رسالة دبلوم الدراسات العليا
في التاريخ القديم**

**قدمها محمد الصفيوي غانم
بasher al-daktoor Hallam al-safadi**

**ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - لبنان**

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفوظٌ

الطبعة الأولى ١٩٧٩ م

الطبعة الثانية ١٩٨٢ م



المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الحمراء - شارع أميل صدقي - بناية سلام

هاتف: ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٤٢٨ صن . ب ٦٣١١ / ١١٣ - بيروت - لبنان

الاهداء

إلى أخي الشهيد المساعد حسين غانم ، وإلى أرواح كل شهداء التضحية والكفاح من أبطال جيش وجبهة التحرير الوطني ، الذين دفعوا أرواحهم فداء في سبيل حرية واستقلال وطننا « الجزائر » : إلى كل هؤلاء أتقدم باهداء باكورة انتاجي الفكري ، اعتراضاً مني لهم بالأيدي البيضاء ، وانحناءً أمام أرواحهم الطاهرة التي ترف علينا كل لحظة لتحثنا على مواصلة الكفاح والستهر على نفس المبادئ الثورية التي استشهدوا من أجلها .

المؤلف : محمد الصغير غانم

الجزائر في 3 - 1 - 1974

مقدمة

من بين المواقيع الهامة التي لم تحظ بعد بالاهتمام المناسب في أوساط الباحثين والمؤرخين في جامعاتنا العربية ، موضوع التاريخ القديم الذي ما زال المختصون فيه في وطننا العربي يعدون على الأصابع ، ولا أدرى أكان ذلك عن قصد لأن الماضي دخل في حيز العدم « أم أن » هناك مواقيع اقتصادية وتقنية تتعلق بالحاضر والمستقبل تغطي على مثل هذه الدراسات .

وقد ترتب عن نقص الاهتمام أن انفرد المؤرخون الأجانب بالعمل تقريرياً فأصبحوا يكتبون لنا تاريخينا ويضمونه ما شاعوا من النظريات والأفكار التي قد لا تطابق الواقع في كثير من الأحيان . غير أننا نقبل ذلك ، ونعتمد كتاباتهم في جامعاتنا ومدارسنا معللين ذلك بنزاهة وتكامل البحث العلمي .

كانت هذه الفكرة وغيرها من الأفكار الأخرى تخز في نفسي أثناء دراسي الجامعية عندما كانت تسلم لنا قوائم المصادر والمراجع الهامة التي تتعلق بتاريخنا القديم ، وقد كتب معظمها من طرف المؤرخين الأجانب . إلا أن ذلك كان حافزاً لي على أن اختار هذا الميدان الصعب وأن أتمسك بالصبر والثابرة على أستطاع تقديم مساهمة إيجابية فيه وبذلك أكون قد قمت بواجبي الوطني تجاه أبناء أمي . وبعد أن تخرجت من كلية الآداب

جامعة الجزائر سنة 1969 عرضت موضوع عنوان الرسالة على الأستاذ « هشام الصفدي » فرحب بالفكرة وتفضل مشكوراً بقبول الاشراف فضيّبت معه المخطوط وعملت باستمرار على تحقيق الهدف المنشود . ولا اخفى الصعوبات والمشاكل التي صادفتني أثناء بحثي خاصة قلة توفر المصادر والمراجع المتخصصة التي أعاقتني عن انجاز عملي في وقته المحدد.

وقد حددت بداية البحث بفترة نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول ق . م . وذلك لإيماني العميق بأن هذه الفترة تعد مرحلة إنطلاق حاسمة بالنسبة لتاريخنا القديم فقد عرف الإنسان المغربي فيها الانتقال من عصور ما قبل التاريخ (فترة النيولنطيكي) إلى العصور التاريخية الباكرة.

وذلك بأخذ الكتابة الأبجدية التي جاء بها التجار الفينيقيون من مواطنهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، والذين يصادف وجودهم نفس الفترة . كما عرفت منطقة المغرب في هذه الحقبة من التاريخ نظام المدينة الدولة (Polis) بالإضافة إلى التنظيم السياسي كان يطبق في المدن الفينيقية الباكرة مثل ليكسوس وأوتيكا ثم قرطاجة فيما بعد .

ومن جهة أخرى فإن أهمية هذه الفترة تعود في رأيي إلى الاحتكاكات والمبادلات السلمية الأولى التي تمت بين الفينيقيين الساميين والسكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة ، مما أعطى للحضارة المغاربية دفعة جديدة قوية بقيت آثارها ماثلة حتى القرن السابع الميلادي ، أي حتى مجيء العرب الساميين الذين حملوا معهم مشعل الإسلام والعروبة إلى ربوع المغرب.

وقد قسمت فصول الرسالة إلى خمسة فصول وهي كالتالي :

(1) – خصصت الفصل الأول المدخل إلى التعريف بأصل الفينيقيين والمنطق الأول الذي جاؤوا منه ، ثم استعرضت النظريات التي ثبتت أصلهم السامي وبالتالي شرحت معنى الكلمة فينيقي (Phoenix) اليونانية الأصل . كذلك تعرضت في نفس الفصل إلى طبيعة منطقة الساحل الفينيقي

الحضرافية ؛ ثم بینت بالتفصیل العوامل المساعدة التي دفعت الفینیقین إلى رکوب البحر . وختمت هذا الفصل بنتائج الاتصالات الحضارية التي تمت بين سکان مدن الساحل الفینیقی . والدول المتحضرة المجاورة لهم في كل من مصر وبلاط الرافدين ، والذي نتج عنه اختراع الأبجدية الفینیقية التي انتشرت فيها بعد عبر أجزاء كثيرة من العالم .

(2) — أما الفصل الثاني فقد استعرضت فيه العوامل المباشرة التي دفعت الفینیقین إلى الهجرة نحو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وقد تطرقـت هذه العوامل بالتفصیل . سواء ما كان عالقاً منها بالطبيعة السياسية والاقتصادية للساحل السوری . أو ما كان موجوداً في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

(3) — كذلك أوضحت في الفصل الثالث عملية التوسيع الفینیقی ؛ وبناء المحطات والمستوطنات الباكرة ، وعللت أسباب سبق المستوطنات البعيدة الواقعة على سواحل المحيط الأطلسی (قادس في إسبانيا . ولیکوسوس في أقصى الغرب) لتلك التي أسست على سواحل وسط المغرب . ثم صقلیة فيما بعد . وفي نهاية هذا الفصل أبرزت هدف الفینیقین من وراء اقامة الموانئ المزدوجة التي اشتهرت بها بعض مدنهم الساحلية في الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط على السواء .

(4) — أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن المستوطنات الفینیقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وعلاقتها ببعضها من جهة ثم علاقتها بالوطن الأم . وفي هذا الفصل أظهرت من الناحية السياسية تسلیم قرطاجة لزعامة المستوطنات الفینیقية غرب البحر الأبيض المتوسط . كذلك أشرت إلى التحالف الفینیقی الاتروسکی ضد التوسيع الأغريقی في صقلیة والبحر التیرانی . ولم أغفل من الناحية الاقتصادية دور محطات خليج السرت القرطاجية مثل صبراتة (Sabratha) وطرابلس (Oea) في

ربط العلاقات التجارية بين وسط أفريقيا الاستوائية عبر الصحراء الكبرى وبين الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كما أشرت إلى جهود القرطاجيين ، والمغاربة في مواصلة الكشوفات البحرية خلال نهاية القرن الخامس ق . م . إلى كل من سواحل أفريقيا الاستوائية الغربية ، وإلى كاسيريدس (Cassiteredes) وكورنوال (Cornwall) في جنوب بريطانيا .

(5) — أما الفصل الخامس والأخير فقد رأيت من اللازم على أن أخصصه لدراسة مستوطنة قرطاجة ، وذلك نظراً للدور الهام الذي لعبته هذه المستوطنة في العمل على تركيز وتوسيع الاستيطان الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط .. واعتمدت في تناولي لشرح موضوع طبغرافية مدينة قرطاجة على المقارنة بين الوثائق الكتابية والمصادر المادية التي أسفرت عنها نتائجأحدث التقنيات الأثرية تقريباً . وفي نهاية هذا الفصل أشرت إلى الدور الاقتصادي الذي لعبته المدينة منذ نشأتها ، ثم ركزت بصفة خاصة على الصناعة والزراعة .

وقد كان المنهج الذي اعتمدته في البحث منذ البداية ، هو المقارنة بين المصادر المادية والكتابية ، ثم الاستنارة باستنتاجات المؤرخين المحدثين لشرح الجوانب الحضارية والاقتصادية في العلاقات بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغريه .

والآن وقد أشرفت على إنجاز عملي العلمي هذا أريد أنأشيد بجهود أولئك السدرين لم يخلوا علي بتقديم مساعداتهم الفكرية والمعنوية . فأنقدم بالشكر الجزييل إلى الاستاذ المشرف « الدكتور هشام صفدي » الذي ساير فصول الرسالة منذ بدايتها حتى الخاتمة . وكان له الفضل الكبير في توجيهي للعمل على إبراز البحث إلى الوجود بالشكل الذي هو عليه . كما أتوجه بالشكر والامتنان أيضاً إلى رئيس وأساتذة فرع التاريخ الذين كنت بفضل احتكاكـي بهـم في العمل ألقـى تشجيعـاً معنـوـياً يدفعـي

للمضي قدماً في سبيل تأدية رسالتي العلمية . ولا أنسى أيضاً أنأشكر كل مسؤولي وعمال المكتبيتين الوطنية والجامعة ، ثم المتاحف والمراكز الثقافية بابلجزائر العاصمة ، الذين وجدت منهم كل عون وتقدير في تسهيل مهمتي للاطلاع على المصادر والمراجع الضرورية .

وأنا لا أدعني بأن العمل الذي قمت به بلغ الكمال وإنما هو مساهمة أولى متواضعة قد تساعد من يستهويه هذا الميدان الذي لا زال يتنتظر تكاتف جهود أبناء المغرب أنفسهم ليزدحوا عنه الغبار الذي علق به منذ أمد طويل . وفي رأيي فإن ذلك لن يتم إلا تحت شعار الثورة الثقافية الشاملة التي تتطلب منا بلورة الأفكار واعادة النظر في كل شيء ورثناه عن العهد الاستعماري البائد ، ثم صياغة النتائج بلساننا العربي حتى تعم المنفعة الفكرية وتتصبح من وراء ذلك الحقائق التاريخية . والله الموفق .

الفَصْلُ الْأَوَّل

مَحْمَدَةُ جَفْرَاءِ

أ— التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي :

1— المناخ 2— البروة النباتية

ب— الفنiciيون في المشرق :

— مالك المدن الفنiciة 1— جزيرة أرواد 2— جبيل 3— صيدا 4— صور

ج— الكتابة الفنiciة :

— اللغة الفنiciة 1— أسماء الاعلام 2— النقوش الاهداءية والخناجرية

3— الأدب الفنici .

مقدمة جغرافية

نظرًا للأهمية البالغة التي لعبتها البيئة في حياة سكان الساحل الفينيقي ، رأينا من الضروري في بداية هذه الدراسة أن نقدم فكرة عن التكوين الجغرافي وعن الظروف الاجتماعية التي دفعت الفينيقيين إلى ركوب البحر ، والتي جعلت منهم بالتالي بحارة ماهرين جابوا معظم شواطئ العالم القديم.

يمتد الساحل الفينيقي على وجه التحديد بين خليج الاسكندرية في الشمال وصحراء سيناء في الجنوب . ويحده من الناحية الشرقية سلسلة جبال لبنان الغربية التي تشكل حاجزاً طولانياً يمتد من الشمال إلى الجنوب محاذياً الساحل . وإلى الغرب من الساحل الفينيقي يوجد البحر الأبيض المتوسط الذي استرعى أنظار الفينيقيين فكان حلقة اتصال بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه . ويلاحظ في الشاطئ الفينيقي الذي يبلغ طوله حوالي 440 كلم انعدام الخلجان الطبيعية باستثناء خليج الاسكندرية في الشمال . أما السهل الساحلي فيتصف بأنه ضيق عموماً حتى أن الجبال تكاد تلامس مياه البحر مباشرة في عدة أماكن ، ولا ينفرج هذا الساحل إلا في الشمال والجنوب ثم في بعض البحيرات الصغيرة المنتشرة في الوسط مثل سهل عكار شمال طرابلس ، وسهلي صيدا وصور الذين عرفا في القديم باسم سهل فينيقيا (1) وقد أدى موقع فينيقيا الهام على شواطئ البحر المتوسط الشرقية ، وما امتلكته من ثروات طبيعية كالغابات مثلاً ، أدى إلى تحول هذه المنطقة إلى مركز حساس في العالم القديم جذب أنظار شعوبه . ونتيجة لذلك استولى عليها على التوالي كل من المصريين ،

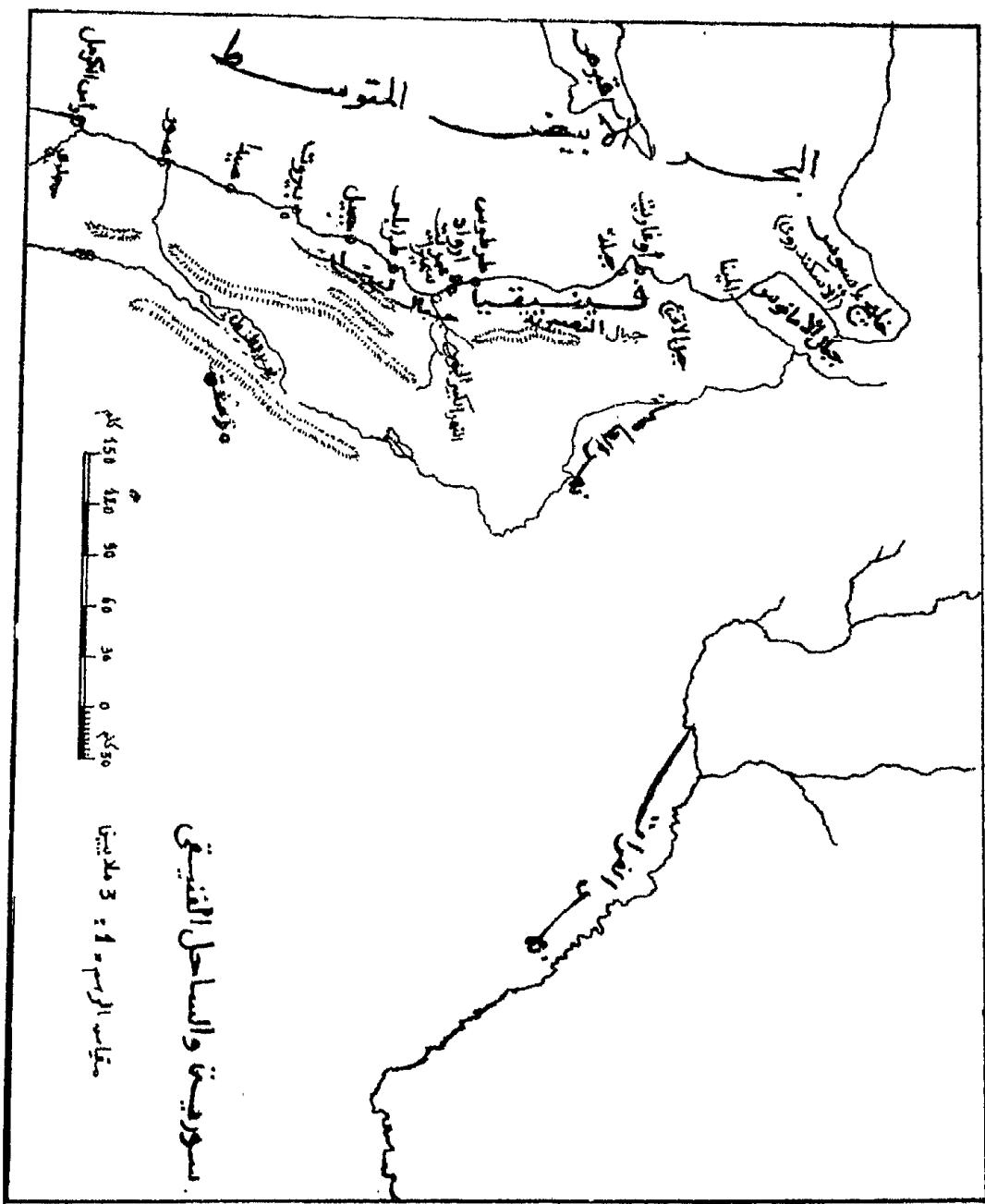
والأشوريين ، والكلدانين ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، ثم عادت من جديد إلى أصحابها في العهد العربي . (أنظر الشكل رقم 1).

أ – التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي

ت تكون التربة الساحلية من رواسب جيرية ، وقد كانت إلى نهاية العصر الثالث الجيولوجي هضبة تعطيها المياه التي اخسرت عنها اثر التصدع الذي أصاب القشرة الأرضية . وقد نتج عن هذا التصدع البحر الأبيض المتوسط . ويندكر الجيولوجيون بأن صخور منطقة الساحل السوري تحتوي على ما يقارب الخمسين نوعاً من الحيوانات البحرية المتحجرة التي يعود بعضها إلى العصر الكريتاسي (2) وللوضع الجغرافي دور كبير في تحديد حياة سكانها وتوزيعهم حسب السهول الزراعية التي امتدت في الشمال قرب مصب النهر الكبير ، والجنوب قرب عكار .

أما فيما بين الشمال والجنوب فان الكتلة الجبلية تكاد تعائق البحر ولا ترك مجالاً للساحل ، الأمر الذي يجعل المواصلات البرية صعبة إن لم يعقبها في كثير من الأحيان ، سواء أكان ذلك بين المدن الساحلية نفسها أو بين الساحل والداخل .

وفي هذا الصدد نشير إلى أن الطريق الدولي القادم من دلتا النيل في مصر عبر سيناء وفلسطين يتفرع إلى فرع عند جبل الكرمل الذي يكاد ينحدر مباشرة في مياه البحر ، فيواصل فرع صغير من هذه الطريق متابعة الساحل لربط المدن الساحلية الفينيقية ببعضها . بينما يتوجه الفرع الثاني نحو الداخل عبر سهول بجدو وأعلى نهر الأردن . وفي مدينة دمشق ينعطف الطريق الداخلي إلى الغرب عابراً جبال لبنان الشرقية عند مر الزيداني ، ثم يواصل سيره داخل سوريا المجوفة متبعاً نهر العاصي حتى الشمال . وعند مدينة قادش ينفذ فرع منه عن طريق النهر الكبير إلى الساحل الفينيقي .



(الشكل رقم ١)

وقد سلك هذا الطريق معظم الغزاة الذين استولوا على بلاد الشام
بجيوشهم فترك الكثير منهم آثاره منقوشة على صخرة عند مصب نهر
الكلب شمال بيروت (3) وكان الساحل الفنقي عموماً عبارة عن جسر
أرضي يربط بين عدة حضارات متباينة في وادي النيل وببلاد ما بين
النهرین في العراق ، ثم في شبه الجزيرة العربية ، وفي آسيا الصغرى وبحر
إيجي وبلاد الأغريق الام (4) .

وإذا تساءلنا عن الخصائص الطبيعية التي يشتمل عليها الساحل الفنقي
فإننا نلتجأ تسهيلاً للبحث إلى تقسيمه إلى وحدتين طبيعيتين هما :

1) السهل الساحلي الذي كنا قد أشرنا إليه سابقاً ووصفناه بأنه ضيق
في معظمها ما عدا ناحيته الجنوبية والشمالية بالإضافة إلى بعض السهول
الصغيرة في الوسط .

2) السلسل الجبلية التي تشكل حاجزاً طولانياً منيعاً يقف بين
الساحل والداخل باستثناء بعض التواحي منه في الشمال مثل سهل
العمق وفجوة طرابلس .

ويتألف الحاجز الطبيعي من عدة سلاسل جبلية نشير إليها على التوالي :
سلسلة جبال الأمانوس في الشمال والتي تكون الحدود الطبيعية بين
سوريا وآسيا الصغرى يأتي بعد ذلك الجبل الأقرع (5) الذي يفصله عن
السلسلة الأولى سهل العمق الذي يشكل حول مجرى نهر العاصي الأدنى ،
في حين تمتد جبال النصيرية حتى النهر الكبير الجنوبي الذي يشكل الحدود
السياسية الحالية بين سوريا ولبنان .

وإلى الجنوب من جبال النصيرية ترتفع جبال لبنان الغربية التي يتشكل
سطحها من صخور كلسية رملية . ويوجد في أعلىها قمة القرنة السوداء
التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 3088 كما توجد بها غابات الأرز الكثيفة

التي اشتهر بها الساحل الفينيقي منذ أقدم العهود . وما سلسلة جبال الجليل بقسميها الأعلى والأدنى في الأراضي الفلسطينية إلا امتدادٌ طبيعيٌ لجبال لبنان الغربية رغم المسافة الفاصلة بينهما .

١ - المناخ

ترتب عن وجود الساحل الفينيقي في المنطقة المعتدلة الدافئة بين درجتي عرض 33° - 38° شمال خط الاستواء ، أن كان مناخه بصورة عامة معتدلاً .

ومن جهة أخرى فان موقع هذا الساحل أيضاً على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جعل مناخه يخضع للمناخ المتوسطي الذي تكاد تنعدم فيه الفوارق الفصلية ، وتنقسم السنة فيه إلى فصلين رئисيين : شتاء مطر مضطرب بارد وصيف جاف حار . غير أن المصطحات المائية تبعث الرطوبة في الجو ، وتعدل درجة الحرارة على الشاطئ . وتزداد درجة الحرارة في منطقة فنيقيا ابتداء من الغرب إلى الشرق وبالعكس من ذلك فان كميات المطر تتناقص من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب .

أما الرياح السائدة في المنطقة فهي الرياح الغربية الممطرة شتاء ، ثم الحافة الشرقية في فصل الصيف (٦) .

ولا توجد في فنيقيا أنهار دائمة الجريان ، بل أن معظم أنهارها فصلية تفيض وتزيد في الفصل الممطر ، ثم تجف أو تقارب الجفاف في فصل الصيف باستثناء نهر العاصي والليطاني اللذين ينبعان من الداخل ، ويصبان في البحر الأبيض المتوسط . لذلك لم تلعب الأنهار دوراً كبيراً في الملاحة الداخلية عكس ما هو عليه الحال في مصر والرافدين .

وبصفة عامة فإن مناخ الساحل السوري لم يلحقه التغيير بل بقي على ما كان عليه منذ القديم (7).

2 – الثروة النباتية

نستطيع أن نقسم الثروة النباتية في منطقة فنيقيا إلى نطاقين هامين هما :

1) السهل الساحلي وسفوح الجبال المطلة لها حتى ارتفاع 1100 م والنباتات السائدة في هذا القسم هي الأشجار المعتادة في سواحل البحر الأبيض المتوسط ، كالكرم وأشجار التين والزيتون ثم النباتات ذات البدور ، مثل القمح والشعير والدخن ، ومختلف الأزهار الربيعية (8). وهناك نوعان من السنديان الذي ينمو في منطقة السفوح الجبلية ، أوهما النوع المعروف بالعفص ذي الأوراق النفضية ، وثانيهما السنديان الأخضر.

إلى جانب ذلك هناك اللوز والسفرجل ، ثم الصنوبر بنوعيه الحلبي والبرسي والتوت والزان .

2) نطاق المرتفعات الجبلية الشاهقة التي تغطي الأشجار منها المسافة التي يتراوح ارتفاعها ما بين 1100 م – 1922 . وغالباً ما تتكون أشجار المرتفعات الجبلية من أشجار الأرز ، والشوح ، ثم النباتات ذات الأشجار المخروطية التي تقاوم البرودة الناتجة عن تراكم الثلوج في قسم الجبال مدة فصلي الشتاء الربيع (9) وقد تميزت أشجار الأرز التي تنبت في السلاليس الجبلية الفنية بالكثرة والقدم ، كما أشير إليها في الكتب الدينية والكتابات القديمة (10) .

وكانت أخشاب الأرز من المواد التجارية الهامة التي تبادلتها فنيقيا مع شعوب العالم القديم ، ولم تعد هذه الأشجار في الوقت الحالي تلعب نفس الدور الذي كان لها في الماضي ، وذلك لأنقراض معظمها بسبب

التعرية من جهة ، ويد الانسان التي امتدت اليها على مر العصور من جهة أخرى .

ب – الفنيقيون في المشرق

تتفق الوثائق الكتابية التي تناولت موضوع أصل الفنيقيين وتسميتهم بأن هؤلاء الأقوام ليسوا من جنس السكان المحليين ، وإنما ظهروا في شمال منطقة اللال الخصيب منذ بداية الألف الثالث ق . م ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحل السوري واحتلوا بسكناه المدين يتبعون إلى أرومة جنس البحر الأبيض المتوسط (11) .

ومن جهة أخرى فان معظم الكتابات التاريخية أيضاً مجمعة على الأصل السامي للفنيقيين . إلا أن الاشكال لا يزال قائماً حول موضوع تحديد هجرة أجداد الفنيقيين من موقعهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية ، والطريق الذي سلكوه للوصول إلى شمال بلاد الشام (12) . وسوف نتجنب مناقشة هذا الموضوع حتى لا ندخل في م tahات خارجة عن نطاق بحثنا . غير أننا مقابل ذلك يمكن أن نشير باختصار إلى بعض الآراء التي نراها ضرورية لازاحة الغموض عن هذا الموضوع .

يرى المؤرخ هيرودوت (Herodote) بأن « الفنيقيين ليسوا من أهل البلاد الأصليين ، وإنما نزحوا من البحر الاريتي » (13) .

أما استرابون (Strabon) فيشير « بأن سكان الخليج الفارسي أكدوا له بأنهم يسمون عندهم باسم صيدا ، صور ، وأرواد ، وأراد (Arad) وأن المعابد عندهم تشبه معابد الفنيقيين » (14) . وورد في كتاب التوراة الاصحاح العاشر عند ذكر قائمة نسب الشعوب أسماء سام ، وحام ، ويافت أبناء نوح ... كما أشير إلى صيدون كمرکز لبلاد كنعان (15) .

أما المؤرخ جوستان (Justin) فيصف الشعب الفنيقي « بأنه مكون

من الفنيقيين الذين نزحوا من بلادهم الأصلية حين أفرعنهم الزلازل . وقد نزلوا أولاً على ضفاف البحيرة الآشورية ، ثم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . وهنا بنوا مدينة سموها صيدا بسبب وفرة الصيادين السملق ، والفنقيون يسمون السملق صيدا (16) .

وهناك من المؤرخين المحدثين من يخالف الآراء التي تقدم ذكرها محاولاً اعتبار منطقة الشمال الشرقي من سوريا المهد الأول للساميين الشماليين ثم يدلل على رأيه هذا بالهجرات الأكادية والآشورية ثم البابلية التي خرجت من بلاد الأ Morrisonين متوجهة نحو بلاد ما بين النهرين . غير أن هذا الرأي ما زال يفتقد إلى التأييد (17) .

وبصدق تسمية سكان شبه الجزيرة بالساميين ، فإننا نلاحظ بأن هذه التسمية لغوية أكثر منها عرقية ، وهي نسبة إلى سام بن نوح ولم يعن بالتسمية السامية أو تصبح تصنيفًا جنسياً للأقوام السامية الذين تفرعت لغاتهم عن اللغة السامية إلا في أواخر القرن الثامن عشر عندما شرع العلماء الأوروبيون في تصنيف اللغات الشرقية .

أما في القرن التاسع عشر فقد اعنى بهذا الموضوع المؤرخ النمساوي شلوتر (Schlozer) الذي أنكب على دراسة اللغات الشرقية وتصنيفها (18) وتعتمد اللغة السامية على الفعل الثلاثي . كما أن هناك زمانين لتصريف الفعل هما الماضي والمضارع . وهناك تشابه كبير بين اللغات السامية في الكلمات الأساسية مثل الضمائر والأسماء التي تدل على القرابة (19) . وقد حضمت التسمية السامية في العصور القديمة كلاً من الأكاديين الذين خرجوا في هجرة كبيرة من شبه الجزيرة العربية في حوالي 3500 ق.م واستقروا في شمال الفرات كمرحلة أولى ، ثم بدأوا يحتكون بالسكان المحليين من السومريين فأخذوا عنهم مؤهلاتهم الحضارية مثل الزراعة والكتابة وحياة الاستقرار . وفي عهد الملك سرجون الأكادي تقدم الأكاديون إلى وسط سهل ما بين النهرين فأسسوا مدينة أكاد ، وأخذوا

الزرابعة من السومريين وتعرف الهجرة الثانية التي خرجت من شبه الجزيرة نحو الشمال بالهجرة الآشورية التي استقر أصحابها في شمال بلاد ما بين النهرين في حوالي الألف الثالث ق. م (20). وقد امتدت الدولة الآشورية في أول الأمر حتى كيابادوكيا في وسط الأناضول ..

وفي النصف الأول من الألف الثالث ق. م وصلت هجرة الأئموريين إلى شمال بلاد الشام وتعني الكلمة أمورو (Amurru) سكان الغرب بالنسبة لغير أنهم سكان بلادما بين النهرين أي البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات. وهي غير سامية، وقد أطلقها السومريون لأول مرة على مدينة ماري عاصمة الأئموريين ثم توسع مدولاً لها في عهد البابليين فأصبحت تشمل شمال سوريا ووسطها. وسمى البحر الأبيض المتوسط ببحر أمورو (21). وضمن الهجرة الأئمورية جاءت الأقوام الكنعانية التي توضعت في سوريا الوسطى ، والساحلية وفلسطين . وكلمة كنعان تعني في اللغة السامية «النخفض» وهي مشتقة من فعل كنح (Kana) ويعني صد بالأرض المخضبة هنا انخفاض الساحل الفنطيقي بالنسبة بحسب لبنان التي هي امتداد طبيعي بحسب طوروس في آسيا الصغرى . وبذلك فالتسمية هنا هي عبارة عن مصطلح جغرافي ..

أما التسمية المهنية فقد أطلقها أولاً الحوريون على سكان الساحل السوري من الكنعانيين (Knaggi) فيما بين القرنين 18 – 17 ق. م وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية . وقد اتفقت التسمية الحورية مع التسمية اليونانية (Phoinix) التي تعني هي الأخرى صباغة الأرجوان التي اشتهر بها التجار الفنطيقيون في حوالي القرن الثاني عشر ق. م وكانت صباغة الأرجوان تستخرج من محار الميوركس (Murix) الذي يوجد بوفرة على الساحل السوري . ومنذ اطلاق التسمية اليونانية أصبح سكان الساحل السوري يعرفون بالفنطيقيين (Les Pheniciens) وسميت المنطقة فنطيقيا (Phenicia) (22) – وبذلك تكون الكلمة فنطيقي مرادفة لكلمة كنעני وقد كان الفنطيقيون يسمون أنفسهم بالكنعانيين ويدعون بلادهم بأرض

كعنان . وورد في كتاب التوراة « وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة وحيثما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبويم إلى لاسع » (23).

وقد أشارت رسائل تل العمارنة إلى سكان الساحل الفينيقي باسم كناهي (Kinakhkhi) أو كناهو (Kinahn) . وجاء في كتاب الحضارة الفينيقية « كانت نقود لاذقة لبنان في عصر أنطيوخوس الرابع (176 - 164 ق . م) تحمل على ظهرها اللاذقة التي في كعنان » (24).

ممالك المدن الفينيقية

ترتبط عن الموقع الاستراتيجي الذي احتله سوريا كمنفذ رئيسي طبيعي يربط بين المسارح التي قامت عليها الحضارات القديمة ، بالإضافة إلى غنى المنطقة بثروتها من الغابات ، أن الإمبراطوريات التي قامت بجوارها كانت تعيش في حالة مذوجة وصراع دائم للفوز بهذه المنطقة . وهذا ما أثر على دولات مدن الساحل الفينيقي وجعلها عاجزة عن تحقيق الوحدة زيادة على ذلك فإن وجود الحواجز الطبيعية ، التي تجعل المواصلات صعبة عبر الساحل الفينيقي ، فرض على السكان تشكيل حياتهم السياسية طبقاً لطبيعة البلاد الجغرافية . فاتبع الفينيقيون سياسة المدينة الدولة (Polis) (City-State) المتحالفه أو المتنافرة في السلم والمتحدة في الحرب (25).

(الشكل رقم واحد ، ص 14).

ومن أهم المدن الساحلية التي كان لها دور فعال نذكر — ابتداء من الشمال إلى الجنوب مدن أرداد ، وجبيل ثم صيدا وصور . بالإضافة إلى مدن أخرى كانت أقل أهمية من تلك التي ذكرناها مثل عمريت ، أوسميرا وعرقة ، وطرابلس ثم بيروت ، إلى غير ذلك من المدن التي ضاعت معالها ، أو اندثرت أسماؤها . ويشير بعض المؤرخين إلى أن عدد هذه المدن يبلغ حوالي 25 مدينة موزعة على كامل الساحل (26).

ونظراً لأهمية المدن الخمسة الأولى فإننا نخصص دراسة لكل واحدة منها على حدة ابتداء من الشمال .

١ - جزيرة أرواد

تعتبر مدينة أرواد (Aradus) في طليعة المواقع التاريخية الفينيقية الهامة التي تقابلنا إلى الجنوب من مدينة أوغاريت (رأس شمرا) ، هذه المدينة القائمة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطئ لعبت دوراً فعالاً قد يكون في المستوى الذي قامت به كل من جبيل وصيدا وصور في الحقل الدولي وقد تألفت مدينة أرواد من حيين منفصلين : بني أحدهما على ساحل البحر ، وعلى بعد ثلاث كيلومترات إلى الجنوب من مدينة طرطوس . بينما قام الحي الثاني على جزيرة صخرية تبعد بميلين عن شاطئ البحر (٢٧) . وكان لكان الحيين أهميته واستعمالاته الخاصة : فقد كان الحي الساحلي يستعمل كسوق تجارية يتداول فيها الأرواديون بضائعهم مع سكان الأرياف المجاورة بينما كان الحي البحري أكثر شهرة بفضل أسواره ومرفأيه ويستعمل في أوقات الحرب ، كملجأ لسكان الحيين . وهو بمثابة حصن منيع تحميته أسوار ضخمة من الحجارة المنحوتة . ويعزو سرابون تأسيس مدينة أرواد إلى مواطنين صياديدين انتقلوا إلى الشمال فبنوا المدينة (٢٨) وتشير التوراة إلى أن سكان مدينة أرواد من الكنعانيين .

أما رسائل العمارنة فقد أشارت إلى التحالف الذي وقع بين أرواد وصيدا ثم بيروت ضد ربيب عدي حاكم جبيل ، الذي كان مواليًا لمصر . وقد انضمت مدينة أرواد إلى الحيين أثناء معركة قادش حوالي سنة ١٢٨٨ ق . م (٢٩) . وفي عهد حكم تجلات بلاصر دفت أرواد الجزيرة إلى الآشوريين وكذلك في عهد أشور ناصر بال ٨٨٤ - ٨٥٩ ق . م الذي كانت تقدم له الثياب والعلاج والأخشاب واستمرت في دفع الجزية للآشوريين حتى العهد الفارسي حيث توسيع رقعتها وأصبحت عاصمة للمنطقة الممتدة من اللاذقية شـ. لاـ حتى النهر الكبير جنوباً .

ومن جهة أخرى شاركت السفن الاروادية ضمن الاسطول الفارسي خلال الحرب الفارسية الاغريقية التي كانت أبرز معاركها سلاميس (Salamis) سنة 480 ق . م والتي انتهت بهزيمة الاسطول الفارسي .

يلى أرواد إلى الجنوب مركز فنيقي آخر هو عمريت أي ماراتوس (Maratus) (30). وكذلك مدينة سميرا ، وطرابلس (Tripolis) (31) وتشير الكتابات التاريخية إلى أن هذه الأخيرة كانت قد أسست حوالي القرن السابع ق . م وقد كانت عاصمة الاتحاد الذي كان يمثل صور وصيدا وأرواد في العهد الفارسي . وإلى الجنوب من مدينة طرابلس نجد مدينة بيرون (Byblos) (32).

2 – مدينة جبيل

تحتل مدينة جبيل (Botrys) (33) مكانة هامة على الساحل الفنطي إذ تقع عند مصب نهر أدونيس (نهر إبراهيم الحالي) وتقدر المسافة الفاصلة بينها وبين بيروت – أقرب مركز فنيقي إلى الجنوب منها – بحوالي 45 كلم . وتعد جبيل من أقدم المدن التي سكنت في العالم حيث بدأت علاقتها التجارية مع بلاد اليونان وجزر البحر الأيجي منذ العهد المينوسي . كذلك اشتهرت بميناءها الهام الذي كانت تصدر منه أخشاب الأرز إلى كثير من الدول ، وخاصية مصر التي أقامت علاقات معها منذ عهد الملكية القديمة . وهذا ما أشارت إليه أسطورة أزوريس ، وما أثبتته الأبحاث الأثرية المنتظمة التي بدأت حوالي 1921 في مدينة جبيل على يد العالم الفرنسي مونتيه (P. Montet) ثم زميله العالم دونان (M. Dunan) حوالي سنة 1926 (34) . وقد أسفرت التنقيبات التي استمرت حتى أمد قريب عن العثور على معبد فيه قرابين تتألف من حلي وهدايا مصرية متنوعة وغنية كتب على بعضها أسماء أصحابها من فراعنة مصر الباكرین . كما عثر أيضاً على بعضها أسماء أصحابها من فراعنة مصر الباكرین كما عثر

أيضاً على جمارين وحلي يعود تاريخها إلى حوالي القرن الثامن عشر ق . م (الملكية الوسطى) .

أظهرت الحفريات بأن مدينة جبيل كانت قد تعرضت لخرق مهول في نهاية الألف الثالث ق . م (35). ولعل من أهم وأكبر الاكتشافات الأثرية التي توصلت إليها التنقيبات في جبيل العثور على الأبجدية الفينيقية. فقد وجدت مكتوبة على صخرة بها أسماء بعض ملوك جبيل الذين سبقووا الملك أحيرام مثل شفط بعل، وايل بعل الخ .. ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى القرن العاشر ق . م . وكان من نتيجة ذلك أن غيرت هذه الكتابة ما سبقها من نظريات كانت تعيد اختراع الكتابة الأبجدية الفينيقية الأولى إلى منتصف القرن الحادي عشر ق . م.

وبالاستناد إلى نتائج الحفريات التي توصل إليها العمالان المذكوران أمكن التأكيد من أن علاقة مصر بجيبل عرفت فترة ازدهار منذ الألف الثاني ق . م وخاصة في عهدا لاسرة المصرية الثانية عشرة . وكان أمراء جبيل في هذه الفترة تابعين لمصر ويلقبون بالأمراء النبلاء . وتتضاعف علاقة مصر بجيبل بشكل أكثر عن طريق قصة النبي سنوحى الذي غادر مصر في عهد الملك سنوسرت الأول إلى سوريا هرباً من بطشه وأقام بالقرب من جبيل عدة سنوات ثم عاد إلى بلاده فيما بعد (36). وورد في رسائل تل العمارنة بأن جبيل كانت قد انحازت إلى مصر أثناء صراع هذه الأخيرة مع الحثيين ، بينما كانت معظم المدن الفينيقية الأخرى تناصر الحثيين

ولم تضعف علاقة جبيل بمصر إلا في أعقاب غزوات شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت الساحل السوري ودمرت الكثير من المدن الفينيقية ويتمثل دليل الضعف هذا في المعاملة شبه السيئة التي استقبلت بها بعثة المؤقد المصري - آمون (Wen - Amun) التي أرسلت من قبل الملك المصري حريحون في حوالي 1090 للحصول على الأخشاب اللازمة لسفينة إله آمون المقدسة. وقد تلقت هذه البعثة إهانات كثيرة من طرف الأمير زاكر

بعل حاكم جبيل ، ولم تحصل على بغيتها من الأنخشاب إلا بعد دفع مقابل من المال ، وقبول شرط مغادرة المدينة (37).

وهكذا يتضح أن عظمة جبيل ارتبطت إلى حد كبير بصلاتها الاقتصادية والسياسية بمصر . أما مدينة بيروت (بيروتا) فان معلوماتنا عنها في العهود القديمة قليلة . ولا نعرف إلا أنها كانت من بين المراكز الفينيقية التي يعود تأسيسها إلى حوالي القرن الخامس عشر ق . م. وكانت في غالب الأحيان تدور في فلك مصر خاصة في عهد قوتها . وقد دمرت عدة مرات ثم أعيد بناؤها . وفي العهد الروماني اتخذت عاصمة للمقاطعة الرومانية في شرق المتوسط .

3 — صيدا

يعود تأسيس صيدا (Sidon) إلى العهود الباكرة من توضع الفينيقيين على الساحل السوري أي حوالي ألف الثالث ق . م وفي هذا الصدد نذكر ما أورده المؤرخ جوستن (Justin) في كتابه تروجو بومبى (Trogue - Pompee) « حالما استقر الفينيقيون على أقرب شاطئ بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا بسبب كثرة السمك ... لأن السمك عند الفينيقيين يعتبر صيدا » (38). وقد نتج عن وجود موقع صيدا الاستراتيجي والقائم على رأس ممتد داخل البحر . أن ترعمت مدينة صيدا المدن الفينيقية في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر ق . م حتى بداية القرن الثاني عشر ق . م فградت من أشهر المراكز الفينيقية الهامة في شرق البحر الأبيض المتوسط واستطاع بحارتها التجار أن يكونوا علاقات تجارية باكرة مع منطقة الدلتا في مصر ، وهناك أسسوا مراكز لهم في منف .

وقد سيطر الصيداويون من جهة أخرى على جزيرة قبرص الغنية بالنحاس . وكانت لهم بها مستوطنات امتدت سيادتهم منها إلى قبرص ورودس ثم جزر بحر إيجه الأخرى حتى وصلوا إلى الساحل اليوناني .

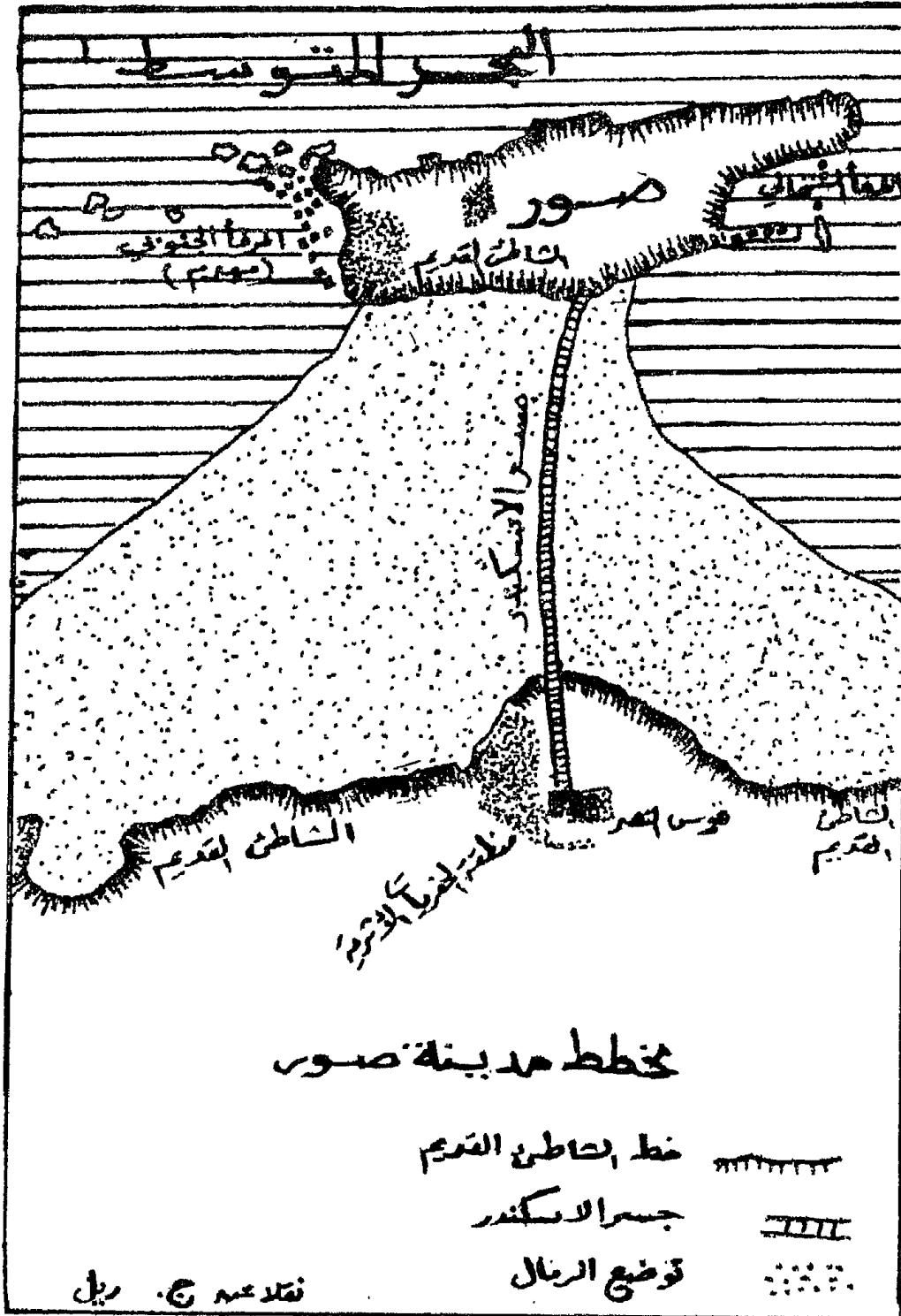
وقد أخذ سكان بلاد اليونان عن التجار الصيداويين طريقة الاسترشاد بالنجوم في أسفارهم البحريّة ، واستعمال المقاييس والموازين » وكانت الكتابة الأبجدية أبرز ما نقلوا عنهم (39). ووقفت صيدا في عهد ازدهارها في وجه المجموعات الآشورية وخاصة في عهد ملوكها العظام : لولي وايتوا - بعل وعبدى ملكوتى . واستمرت في ازدهارها ذلك حتى مجيء غزوة شعوب البحر الذين استقرت جماعة الفلسطينيين منهم في الناحية الجنوبية من الساحل الفينيقي (40). وتذكر الكتابات التاريخية أن ملك عسقلان الفلسطيني كان قد هدم صيدا عام 1195 ق . م مما اضطر سكانها إلى الهجرة نحو الشمال والانضمام إلى مدينة صور التي توسيع فيها بعد على يد هولاء المهاجرين الصيداويين .

ولتبیان مكانة صيدا التاريخية يجدر بنا أن نشير إلى التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجريت فيها ، والتي أدت إلى اكتشافات أثرية هامة يعتبر مدفن تابنیت ومحتواه من توایت حجرية جميلة في طليعتها .

4 - مدينة صور

تعتبر مدينة صور (Tyre) من بين المدن الفينيقية الهامة الواقعة على الساحل الفينيقي . وتتكون من حيين متكملين بني أحدهما على الشاطئ عند مصب نهر القاسمية ، وبني الثاني على جزيرة تبعد عن الشاطئ بحوالي ميل واحد (41). (أنظر الشكل رقم 2).

و قبل أن نشير إلى زعامة صور لمدن الساحل الفينيقي والذي دام من القرن العاشر ق . م حتى القرن الخامس ق . م والدورين السياسي والاقتصادي اللذين قامت بهما في فترة ازدهارها ، لا بد أن نستعرض أولاً الآراء المختلفة التي وردت حول تأسيس المدينة . وفي هذا الصدد نشير إلى أن الأساطير القديمة تذكر بأن مدينة صور كانت قد سكنت في أول الأمر من طرف الآلهة الذين سلموها فيما بعد للجبارية (42).



(الشكل رقم 2)

أما المؤرخ هيرودوت (Herodotus) فيروي بأنه أثناء زيارته لمدينة صور سنة 450 ق. م أكد له كهنتها بأن معبد الإله (ملقارات) إله صور قد بني في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدينة. وكان ذلك حوالي 2300 قبل زيارته لها (43). وعلى ذلك يكون بناء مدينة صور قد تم في حوالي عام 2750 ق. م. وهناك من المؤرخين الذين جاؤوا فيها بعد من يذكر بأن تأسيس مدينة صور كان قد تم على يد سكان صيدا الذين هاجروا مدينتهم بعد تدميرها. غير أن هذا الرأي الأخير لا يمكن أن يتطابق مع الحوادث التاريخية التي تسند إلى مواطنى مدينة صور : مثلاً تأسيس المستعمرات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والذي يُؤرخ له بحوالي سنة 1110 ق. م. كبداية لتأسيس مدينة قادس في إسبانيا وليكسوس في الغرب الأقصى إذ أنه لا يعقل أن يتسع لمدينة ناشئة مثل مدينة صور أن تبني نفسها بمثل تلك السرعة ، وأن تترעם المدن الفينيقية في الساحل الفениقي ثم تنشئ المستوطنات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . كل هذا في فترة لا تتجاوز خمسين سنة .

إذن فلا بد أن نشك في تاريخ التأسيس 1195 ق. م. وناخذه على أنه فترة من فترات الازدهار التي مرت بها مدينة صور في أواخر الألف الثاني ق. م. على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق ذلك (44). ويتجلى الدور الحضاري الذي قام به سكان مدينة صور في قدرتهم على ربط العلاقات الباكرة بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ، واكتشاف المحيط الأطلسي كذلك نقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي كانت تجاورهم.

وقد امتاز الصوريون بمهارة كتجار وكبحارة بكتمان اسم أو مسالك الطرق التي سلكوها مثلاً جاء في وصف رحلتي حنون وحملكن (45). واستطاعت صور بهذه الطريقة أن تحكم في التجارة الدولية لمدة ثلاثة قرون ابتداء من القرن التاسع حتى القرن السادس قبل الميلاد .

وتتلخص علاقة صور الخارجية في بداية الألف الأول ق. م. في

علاقتها” مع العبرانيين في عهد ملوكها حيرام الذي أمد سليمان الحكم بالمهندسين والفنين والعمال لبناء معبد أورشليم ، وقصر الملك سليمان . كما زوده بأنشئ الأرز المشهورة من جبال لبنان بالإضافة إلى ذلك أعطاه بحارة ماهرين كانوا أول من وضع النواة الأولى لتأسيس الأسطول العبراني في البحر الأحمر . وكان حيرام يتقاضى مقابل ذلك ذهباً ومواد غذائية أخرى من الحبوب والزيت (46). وقد قام الملك حيرام بعدة مشاريع إصلاحية في مدينة صور منها ترميم معبد الإله (ملقارات) وبناء معابد وقصور جديدة . كذلك ربط الجزيرة الصغيرة القرية من جزيرة صور بسور قوي ، وحسن ميناءها التجاري غير أن صور سرعان ما دخلت في حرب مع جيوش الامبراطورية الآشورية سنة 876 ق. م. أثناء اكتساح هذه الأخيرة للساحل الفنطي في عهد الملك آشور ناصر بعل . ورغم المقاومة الشديدة التي أبدتها مدينة صور فإنها خضعت في الأخير لدفع الجزية في عهد ملوكها ايتو — بعل الأول واستمرت على ذلك تدفع الجزية في عهد شلمنصر الثالث 860 — 835 ق. م.

أما في عهد شلمنصر الخامس فان صور امتنعت عن دفع الضرائب وقامت بما يشبه الثورة على الحكم الآشوري . مما دعا شلمنصر الخامس إلى جمع أسطول بحري من المدن الفنطية الأخرى المجاورة لصور محاولاً اخضاعها ، لكنه فشل في آخر الأمر (47).

وبذلك نرى أنه في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني الذي حكم حوالي 722 — 705 ق. م كانت كل مدن الساحل الفنطي خاضعة للحكم الآشوري ما عدا مدينة صور . ولم تتوقف مجهودات صور في الدفاع عن نفسها فقط بل نراها تذهب إلى أكثر من ذلك فتحاول تأليف حلف من المدن الفنطية للوقوف في وجه المد الآشوري الذي استفحلاً أمره في عهد الملك سنحريب ، وابنه سرجون الذي تسلم الحكم حوالي 681 ق. م. واستطاع هذا الأخير أن يقضى على هذا الحلف ، ويرغم صور على

دفع الجزية . وعلى ذلك بقيت صور تدفع الجزية للآشوريين حتى سقوط دولتهم حوالي سنة 683 ق. م.

وقد خضعت صور بعد ذلك للكلدايين خلال القرن السادس ق.م. وفي عهد حيرام الثالث استبدلت صور النظام الملكي بالنظام الجمهوري وأصبح حاكمها يلقب بالسوفيت (*Suffete*) (48). ثم انتقل هذا النوع من الحكم منها إلى قرطاجة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وخلال العهد الفارسي كانت صور خاصة تابعة إسمياً للفرس وتدفع لهم الجزية . وكان أسطولها في هذه الفترة يضرب به المثل في شرق البحر الأبيض المتوسط وقد شاركت السفن الصرورية مع الأسطول الفارسي في غزو بلاد اليونان ، إلا أن معركة سلاميس (*Salamis*) عام 480 ق.م. كانت لها الضربة الفاصلة عند تحطم الأسطول الفارسي الفنطي . وبالرغم من ذلك فقد بقيت صور مدينة بحرية من الدرجة الأولى حتى حملة الاسكندر المقدوني عام 332 ق.م. الذي خضعت له كل مدن الساحل الفنطي سلماً ما عدا مدينة صور فانها أوصدت أبواب أسوارها في وجهه مثل ما تعودت أن تفعل ذلك مع الغزاة الأجانب كالآشوريين والفرس الذين وضعوا أيديهم على الساحل الفنطي (49). واكتملت صور بارسال المدaiا إلى الاسكندر معترفة له بحق السيادة الاسمية ودفع الجزية (50). لكن الاسكندر رفض ذلك وأبى إلا أن يستولي على المدينة ، فعمد إلى حمل أنقاض المعابد والأعمدة التي هدمها لبناء جسر يربط به الجزيرة باللياسة . وقد تحصن سكان صور في أول الأمر في جزيرتهم وتركوه يفعل ما يشاء غير أنهم عندما أحسوا بأن بناء الجسر وصل إلى مكان عميق تكثر به التيارات أرسلوا له سفناً مشتعلة أضرمت النار في المواد الخشبية والأبراج وآلات الحصار التي كانت تقدم فوق الجسر . فنهدم الجسر من جراء ذلك وأيقن الاسكندر أن النصر لن يتم له ما لم تهاصر جزيرة صور بحرياً فطاف بالمدن الفنطية الموالية له ، وجمع لهذا الغرض حوالي ثمانين سفينة أضافها إلى سفن قبرص وجزر البحر الأيجي التي كانت موالية

له فاجتمع لديه حوالي 224 مركباً حربياً حاصر بها صور . وبذلك تنسى لعمال الحسر أن ينجزوا أعمالهم ، فربطت صور باليابسة وتوحدت جهود جيوش الإسكندر البرية والبحرية فاستولى على المدينة عنوة ، بعد أن هدم أسوارها وقتل الكثير من سكانها وقد دام حصار الاسكندر لمدينة صور حوالي سبعة أشهر (51).

واعتباراً من هدم الاسكندر لها ، ظلت مدينة صور مرتبطة باليابسة حتى وقتنا الحاضر (أنظر الشكل رقم 2 ، ص 22) .
إذا تساءلنا عن العوامل التي كانت تكمن وراء قوة صور ، وتوجه سياستها الخارجية تجاه غير أنها فإنه يمكن أن نعيد ذلك إلى عدة أسباب منها :

1) موقع المدينة داخل البحر ومناعة أسوارها التي جعلتها في مأمن من كل الهجمات البرية ، هذه الهجمات التي كان يشنها من حين إلى آخر الاشوريون والكلدانيون والفرس .

2) قوة أسطولها التجاري والحربى جعلاها تكتسب غنى مادياً وقوة حربية ، وبذلك استطاعت أن تغدق الهدايا والعطايا على كل الغزاة الطامعين فيكتفوا بتلقي الأموال الوفيرة في شكل جزية ، وبعد لوعان الاستيلاء عليها .

3) تبعية قرطاجة لصور ومدتها بالاعانات المادية سنوياً في شكل هدايا لعبد الله (ملقارت) جعل مدينة صور معززة بالجانب في الخوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

4) العلاقات الحسنة التي سادت بين صور ومصر لصالحة البلدين كانت هي الأخرى قد شجعت صور وجعلتها تقف في وجه الاشوريين وعلى سبيل المثال نذكر الحلف الذي تزعمته صور بقصد محاولة طرد الجيش الاشوري في عهد الملك سنجريب . فقد كانت مصر تحت حكم

الاسرة الخامسة والعشرين الكوشية قد شاركت في هذا الحلف وهدفها من ذلك هو زحف الاشوريين وكسروا كتهم قبل بلوغهم حدودها (52).

بالاضافة الى الدوافع التي أشرنا اليها كانت صور قد بلغت ذروتها في الناحية الحضارية والثقافية ويشهد بذلك الصراع السياسي الداخلي الذي كان يدب بين طبقة الارستقراطيين والذي أدى الى هجرة اليسا (Elissa) على اثر انهزام حزبها وضعفه أمام حزب أخيها بغماليون (Pygmalion) فانتقلت الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ووضعت أساساً لمدينة جديدة أسمتها قرطاجة . وهذه الاخيرة لعبت دوراً فعالاً مشابهاً لذلك الدور الذي قامت به صور من قبل ان لم يفقه في بعض الاحيان .

ج – الكتابة الفنيقية

لقد سبقت الابجدية الفنيقية بعدها كتابات أخرى نذكر منها على سبيل المثال الكتابة التصويرية التي ظهرت في وادي النيل والكتابة السومرية في جنوب الرافدين . وكانت كلتا الكتابتين معاصرتين أو متقاربتين على الأقل في الظهور (53) ، واعتمدت كل من الكتابتين المصرية والسومنية في أول الامر على تصوير الأفكار والأشياء ثم تطورت كل منها بطريقتها الخاصة فحلت العلامات الرمزية في كل منها محل التصوير بقصد إزالة الغموض والتعقيد الذي كان يسودها . فمثلاً تطورت الكتابة الهيروغليفية المصرية الى الكتابة الهيراطيقية حوالي النصف الثاني من الالف الثالث ق. م ثم الى الديموطيقية حوالي 180 ق . م وحلت محل هذه الاخيرة الكتابة اليونانية في القرن الخامس ميلادي عند اعتناق المصريين للمسيحية .

أما الكتابة المسماوية فأئمها تطورت هي الاخرى من كتابة تصويرية الى مقاطع تشترك في تكوين الكلمات . وقد انتشرت في معظم أنحاء آسيا الغربية ، فاستعملها الاكاديون والبابليون والعلميون والخوريون ثم الحشيون

و كانت اللغة الأكادية ذات الكتابة المسماوية هي لغة المراسلات الدولية خلال النصف الأول من الألف الثاني ق . م وما بعده ، تدل على ذلك رسائل تل العمارنة . وقد ظهرت الكتابة السينائية في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد (٥٤) .

وفي هذا الصدد نشير إلى ما ذكره العالم الأثري البريطاني ، السير فلندرز بيترز (Flinders-Petrie) الذي كان أول من بدأ التنقيب في منطقة سيناء في حوالي ١٩٠٥ م (٥٥) . ذكر هذا العالم بأنه اكتشف على جوانب مناجم الفيروز القديمة في سرابيط الخادم بسيناء كتابة غريبة كان بعضها مكتوباً بأحرف تشبه الكتابة الهيروغليفية وبعضها الآخر لا يشبهها .

و قد أطلق على هذه الكتابة اسم الكتابة السينائية (٥٦) . وأثبتت العالم أولبرايت (Albright) بأن ظهور الكتابة السينائية يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وأن الذين اخترعواها كانوا عمالاً أو أسرى ساميين يعملون مع المصريين في معامل الفيروز . وقد بلغ عدد الحروف السينائية حوالي ٢٢ حرفاً ساكناً (٥٧) .

أما تاريخ ظهور الكتابتين الكنعانية والفينيقية على الساحل الفениقي والذى يهمنا في موضوعنا هنا فاننا سنناقشه على ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة في كل من مدن اوغاريت (رأس شمرا الحالية) وجبيل : ففيما يختص مكتشفات رأس شمرا التي بدأت التنقيبات فيها سنة ١٩٢٩ باشراف العالم الاقري الفرنسي كلاودشيفر ومساعديه . يلاحظ بأن هذا العالم قد توصل في سنة ١٩٣٠ إلى اكتشاف الألواح الادغاريته التي ثبت بعد تحليل كتابتها المسماوية بأن بعض ألواحها كانت لغته سامية كنعانية وبعضها الآخر كانت لغته حورية . وقد شارك في تحليل الكتابة الـ اوغاريتية في عام واحد كل من العلـاء باور (H. Bauer) الـ ألماني و دروم (E. Dhorme) و فيرولو (C. Virolleau) الفرنسيـين . ثم نـشر هذا الـ الأخير (فيـدـولـو) تـحلـيل

هذه الكتابة في مجلة سوريا سنة 1930 (58) . وكانت نتيجة هذه البعثة العلمية في الوصول إلى خصيصة أبجدية رأس شمرا التي تتكون من 80 حرفاً منها 26 حرفاً ساكناً . وتميز أبجدية رأس شمرا المسارية ببساطتها بالنسبة للكتابة المسارية العادية . ويعود تاريخ ظهورها إلى حوالي القرن الرابع عشر ق. م ، وكانت لا تكتب إلا على الألواح الطينية (59) . كما أن اتجاهها كان من اليسار إلى اليمين . ويشير المؤرخ بليني (Pliny) بأن الأبجدية الفنية كانت قد أخذت من الكتابة المسارية التي كانت تكتب بها اللغة الآشورية (60) .

وعلى ضوء الابحاث اللغوية المتعلقة بأصول الكتابة الأبجدية الفنية يمكن التوصل بالاستناد إلى الكتابة الإبجدية في سيناء بأن هذه الإبجدية الباكرة انحدرت عن أصول هيروغليفية مصرية . ولكن لا يعرف بعد هل أن هذا الاستنباط أدى الاستفادة من أول حرف من الكلمات التصويرية لتحويله إلى حروف أبجدية يعود إلى المصريين أم إلى عمال مناجم سرايط الخادم في سيناء .

أما العالم اللغوي جاردنر (Gardner) الذي حلل الكتابة السينائية فقد توصل بعد مقارنات كثيرة إلى أن الفينيقيين كانوا قد اعتمدوا في وضع أبجديتهم الأولى على الكتابة السينائية التي هي مزدوجة، الكتابة الهيروغليفية ، والكتابة الخطية التي هي عبارة عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول (61) .

غير أن هذه الاراء المتشعبة التي أشرنا إليها كان قد أعيد النظر فيها بعد اكتشاف العالم الفرنسي موتي سنة 1923 للكتابة التي وجدت على غطاء تابوت الملك حيرام والمكونة من سطرين . وقد حلل كتابة تابوت الملك حيرام العالم ديسو (Dussaud) فأثبتت بعد المقارنة والدراسة أن هذه الكتابة المكونة من 22 حرفاً ساكناً تختلف عن كل الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسارية . وهي كتابة محلية فنية يعود ظهورها

إلى نهاية الالف الثاني ق . م أي حوالي 1000 ق . م (62) . وقد نوه ديسو في كتابته بمجهودات الفنانيين في هذا الميدان وسبقهم لكل شعوب العالم في اختراع أول أبجدية من نوعها تناقلتها فيما بعد معظم شعوب العالم، وأشار ديسو بأنه يجب على العالم الاعتراف للفنانيين بما هو من حقهم صدقًا فهم أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية منذ أن تركوا بارادتهم الكتابة المعقّدة التي كانت مستعملة في أيامهم . ومنذ آن ميزوا صوتاً بسيطاً يتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم (63) .

وهناك اختلاف كبير بين الأبجدية التي اكتشفت في جبيل وكتابه رأس شمرا ويتلخص الاختلاف في أن أبجدية تابوت أحيرام كتابة خطية تكتب من اليمين إلى اليسار وهي منقوشة على الصخور وتتميز بالبساطة بحيث لا تستدعي كتابتها كتبة متخصصين للقيام بكتابتها وعلى ذلك لم يكتب لها الانشار .

وقد استطاع الفنانيون خلال أسفارهم التجارية واحتياكاً لهم بكثير من الشعوب أن ينشروا كتابتهم دون عناء . فقد أخذها عنهم اليونان في حوالي القرن السابع ق . م بعد أن أضافوا إليها حروفًا للحركة . وعن هؤلاء أخذ الآتروسكيون واللاتين كتابتهم . ومن جهة أخرى أخذ الأراميون وال עברانيون الكتابة الفنансية ثم تفرعت عن الكتابة الaramية الكتابة النبطية . وعن هذه الأخيرة تفرعت الكتابة العربية الشهالية (64) .

أما دوناند الذي كان قد اكتشف نقوشاً في جبيل يعود تاريخ ظهورها إلى حوالي القرن السابع ق . م فإنه يخالف ما جاء به ديسو وينذهب أن أسماء الحروف الفننسية لا تشير إلا إلى مظهرها الشكلي . أما أصلها فيجب أن نبحث عنه في الكتابة الهيروغليفية التي وجدت في جبيل ولم يقض على الأبجدية الفننسية أو تستبدل بكتابية أخرى إلا في العهد اليوناني حينما استبدلها اليونان بكتابتهم اليونانية ثم سار على منوالهم الرومان فيما بعد (65) وقد بقىت الكتابة الفننسية بعد ذلك تمارس في قرطاجة تحت اسم

الكتابة البونية حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م. ثم بسطت بعد ذلك وأدخلت عليها بعض التغييرات ، وأصبح يطلق عليها الكتابة البونية الجديدة (Neopunique) واستمرت في التحرير بعد ذلك حتى بداية القرن الرابع للميلاد أو حتى العصر الإسلامي حيث أُسْدِلَ عليها الستار نهائياً (٦٦) .

اللغة الفينيقية :

ليست لدينا مادة كثيرة عن اللغة الفينيقية وذلك لعدة أسباب منها :

- ١) ضياع التراث اللغوي الفينيقي على يد الغزاة الاجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفينيقي ابتداء من غزو شعوب البحر المدمرة حتى الاحتلال اليوناني للساحل الفينيقي في شرق المتوسط ، وتدمير قرطاجة من طرف الرومان في الخوض الغربي للبحر المتوسط .
- ٢) أن الفينيقيين لم يسجلوا لنا آدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء لا تؤثر فيها عوامل الطبيعة مثلما فعل السومريون والاشوريون في تسجيل تراثهم على الا لوحات الطينية . ولذلك لم يبق من التراث الفكري الفينيقي إلا ما سجل على المواد الصلبة . مثل الصخور واللوحات المعدنية .
- ٣) ان زمن ازدهار الفينيقيين لم يكن طويلاً حتى يسمح لهم بالالتفات إلى الناحية الادبية والتاريخية فيسجلوا لنا الكثير منها .
- ٤) لأنفسى ما للمؤرخين اليونان واللاتينيين والبرتغاليين الذين وصلتنا عن طريقهم أخبار الفينيقيين من تحيز وتحريف للحقائق التاريخية ، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن عدم دراية. وذلك لعدم معرفتهم اللغة الفينيقية.

وعلى ذلك فاننا سنقتصر في مناقشتنا لموضوع اللغة الفينيقية على الآتي :

١ — أسماء الأعلام .

٢ — النقوش الاهادية .

٣ — الأدب الفنقي .

١ — أسماء الأعلام :

تكون اللغة الفنقية فرعاً خاصاً من اللغة الكنعانية ، وتشابه مع اللغات السامية الأخرى في مرونة الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها . وغالباً ما يتكون فعلها من ثلاثة أحرف ، وتتفق مع اللغات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد والخطأ في النطق بكلماتها . وعلى هذا المثال جاءت أسماء الأعلام الفنقية كما أشار إليها المختصون في هذا الميدان عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخواص مثل الابتهاج أو اظهار الإيمان أو الثناء على الرب وهناك أسماء أخرى مثل عبد : الذي يعني خادم ، وامه خادمة ، وبعل : سيد. الخ

٢ — النقوش الاهادية والجنائزية :

تشمل النقوش الاهادية كل الأشياء المهدأة إلى الرب تقرباً إليه لنيل رضاه والاستعانة به في قضاء المأرب والوقاية من الكوارث . وغالباً ما تحتوي صيغة الاهداء هذه على وصف القربان ثم تطلب في الأخير انزال البركة . ومثال نصوص اهداء هذه ما وجد في مالطة وحلله الرآه布 برطيلي بعد الاستعانة بنصوص يونانية مماثلة له وجدت في نفس المكان . ومحظى النص الآتي : إلى مولانا ملقارت بعل صور : هذا ما يهديه إليك عبدك أبدوسير ، وأخوه أوسير شمر إينا أوسير شمر بن أبدوسير لأنه استجاب لدعائهم فليباركهم . وكذلك وجدت نصوص أخرى في قرطاجة مهدأة إلى الآلهة تانيت بينه — بعل (Tanit-Pne-Baal) وإلى الإله بعل

حمون . نذكر منها الصفة التالية : « إلى السيدة تانيت بنية — بعل وإلى المولى بعل حمون : هذا ما أهداه بود — ملقارت بن عبد ملقارت بن همبلكت (Hamilkat) لأن الآلهة استجابوا لدعائهما ، فليباركوه » .

أما النصوص الحنائزية فأنها غالباً ما تكون مطولة أكثر من الإهدائية وتنال عادة اسم الميت ومكانته ثم تتطرق إلى مناقبه . وفي الأخير تختتم هذه النصوص باستنزال اللعنات على كل من يحاول النيل من البناء الحنائزى ومثال النصوص الحنائزية النص الذي وجد على غطاء تابوت الملك أحيرام الذي يعود تاريخ كتابته إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م.

التابوت الذي صنعه آيتوبعل ابن أحيرام ملك بيبلوس لأبيه كمسكنه الأبدى « وإذا هاجم بيبلوس ملك أو حاكم أو قائد وعرض بهذا التابوت فليكسر صوبحان حكمه وليسقط عرشه الملكي وليهجر السلام بيبلوس ، وأما هو فليمتحن إنسان مشرد كتابته » . (67).

3 – الأدب الفنقي :

إن كل ما نملكه عن الأدب الفنقي لا يكاد يتجاوز بعض الأساطير القليلة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين ، والمناظرات الأدبية التي تمثل في النزاع السنوي بين الله النبات عليان بعل وخصمه موت (68) . وهناك موازنات من حيث اللغة والأفكار بين الأدب الذي ظهر على الألوان الاوغاريتية وما جاء في التوراة خاصة في الأوزان الشعرية ومن أشهر المؤرخين الفينيقيين الذين وصلتنا أخبارهم الكاهن سانخونياتون (Sanchoniathon) الذي عاش في حوالي القرن الحادي عشر ق. م . وقد اقتبس عنه فيلون الجبيلي في حوالي القرن الأول ميلادي وفي حوالي القرن الرابع ميلادي أحد المؤرخ اليوناني أوزيب والملقب بأبي التاريخ الكensi آراء سانخونياتون عن فيلون ليتقدما (69) .

إلى جانب ما ذكرنا عن الأساطير وأخبار سانحونياتون نشير أيضاً إلى نصوص تقارير رحلتي حنون وحملكن الاستكشافيين . والوصف الشامل للاماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين (70). وقد ترجم التقرير ان من الفينيقية إلى اليونانية ثم إلى لغات العالم الأخرى . كذلك نذكر أيضاً في ميدان التاريخ والأدب الفينيقي النقوش الذي سجل عليه هنبيعل حملاته في إيطاليا ثم أودعه في معبد جونو (Junon) وكان هذا النقوش مزدوج اللغة فينيقية يونانية ، ولذلك أخذه المؤرخ الروماني تيت - ليف (Titus Livius) في كتاباته . يضاف إلى كل ما ذكرنا كتب الموسوعات الزراعية التي ألفها القائد ماغون (Magon) والتي أمر مجلس الشيوخ الروماني بترجمتها للاستفادة منها في ميدان الزراعة . وقد تأثر بها كل من كاتون (Caton) وفرجيل (Virgile) وغيرهما .

وخلاصة القول أننا نعتقد موقنين بأن مادة اللغة والأدب الفينيقيين تتجاوز ما أشرنا إليه في موضوعنا هذا . إذ أنه لا يعقل أن ينحصر تراث ذلك الشعب الذي استطاع أن يصنع معجزة اختراع أول أبجدية في العالم في بعض الأساطير والنقوش الكتابية . غير أن تصافر الأسباب التي أشرت إليها في مستهل كلامي عن اللغة هي السبب المباشر في ضياع هذا التراث.

الفَصْلُ الثَّانِي

عوامل التوجه الفنيقي في البحرين

- 1) العوامل السياسية .
- 2) العوامل الاقتصادية .
- 3) العوامل الاجتماعية .

عوامل التوسيع الفينيقي في البحر المتوسط

لمعرفة الأسباب التي دعت الفينيقيين للتوسيع في البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الواقعة ما بين نهاية الألف الثاني وبداية الألف ق. م. يجدر بنا أن نولي جانباً من الاهتمام للعلاقات الدولية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الشرق الأدنى القديم ، لتعرف على مدى تأثر منطقة سواحل المتوسط الشرقية بها . وستقتصر في دراستنا لعوامل التوسيع على ثلاثة عوامل رئيسية ، هي : العوامل السياسية والاقتصادية والإجتماعية .

1 - العوامل السياسية :

تعود العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسيع في البحر الأبيض المتوسط ، إلى الصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي بقصد الاستيلاء على سوريا (1) وهذه الدول هي : الدولة المصرية في وادي النيل ، والامبراطورية الخشونة في آسيا الصغرى ، ثم الدولة الآشورية في منطقة وادي الرافدين ، بالإضافة إلى وجود الآراميين في سوريا الداخلية وال עברانيين في فلسطين .

وقد بدأت علاقة الدولة المصرية بالساحل الفينيقي منذ حوالي الألف الثالث قبل الميلاد وكانت اعتباراً من عصر الملكية القديمة (الأسرة الخامسة بصفة خاصة) . تقتصر على التبادل التجاري حيث كان المصريون

يستوردون الأخشاب من غابات جبال لبنان لاستعمالها في مشاريعهم العمرانية وأبنيةهم الدينية ، وتعتبر جبيل أول مدينة فنية تلعب دوراً رئيسياً في العلاقات الفنية المصرية، وعرفها المصريون باسم كبن (Kupna) أو جبلة (Gadis) وورد في نقوش حجر باليرمو أن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة المصرية قد جلب من لبنان حمولة 40 سفينة من الأخشاب لاستعمالها في بناء هرم في دهشور (2).

وكان بجبيل في عهد الملكة القديمة ، جالية مصرية تعمل على تنظيم العلاقات التجارية . ويعزز هذا الرأي الآثار المتبقية من جدران المعبد المصري الذي عثر عليه في جبيل والذي كتبت على أحجار أسس بنائه أسماء بعض ملوك الدولة القديمة (3) وتتضمن علاقة الساحل السوري بالملكية المصرية المتوسطة من خلال الهدايا الحنائزية التي عثر عليها في قبور أمراء مدينة جبيل والعائدة إلى عهدي أمتنحات الثالث والرابع 1792 — 1850 (4) .

أما في مصر فالإشارة إلى العلاقات السامية المصرية نلمسها في رسوم مقابر بني حسن شمال تل العمارنة . وأيضاً تمثل في التعاون الجدي في استغلال مناجم التحاس والفيروز في شبه جزيرة سيناء الذي تمحض عنه اختراع الكتابة السينائية من طراف الساميين (5) غير أن علاقة مصر بالساحل السوري انتابها شيء من التغيير بعد طرد المصريين للهكسوس في أواخر القرن السادس عشر ق. م. إذ تحولت من علاقة تجارية إلى احتلال عسكري رافقه نفوذ سياسي . وبذلك أصبحت فنيقيا تمثل حدوداً أمامية للدفاع عن مصر ضد هجمات الأجانب الذين كانوا يسلكون الطريق الدولي عبر الساحل الفنيقي للدخول إلى مصر وتهديدها وسلامتها .

وقد توطدت السيادة السياسية والعسكرية المصرية في فنيقيا في عهد الملك تحتمس الثالث 1490 — 1436 م ، وذلك لنشاطه المتزايد في الاستيلاء على المدن الفنية الواحدة تلو الأخرى ، ويعتقد بأن حملات

تحوتمنس الثالث الحجرية على سوريا قد بلغت حوالى ست عشرة حملة قضى فيها على تحالف 350 أميراً كما وسع آفاق النفوذ المصري حتى النهر الكبير الشمالي . واستولى على عدة مدن هامة مثل مجدو في فلسطين وأرداد ، وسميرا في شمال الساحل الفينيقي (6). وقد حاول تحوتمنس أن يقضي على المؤامرات السياسية التي كان يحيكها أمراء المدن الفينيقية ضد الوجود المصري بطرق سياسية فكان يأخذ أبناء هؤلاء الأمراء إلى مصر ويعلمهم مع أبنائه ثم يربىهم في قصره حتى إذا كبروا أعادهم إلى وطنهم ليحلوا محل آبائهم محافظين على ولائهم لفرعون المصري . إلا أن هذه السياسة لم تدم طويلاً بعد وفاة تحوتمنس الثالث وذلك لأن منطقة سوريا كانت في نهاية الألف الثاني عبارة عن فسيفساء من الشعوب المختلفة الاتجاهات . ولذلك أصبحت مصر لا تهتم بالنفوذ السياسي بقدر ما تهتم بالنفوذ الاقتصادي المتمثل في الحصول على الجزية وتأمين حدودها . وقد ترك تحوتمنس أخبار انتصاراته في فنيقيا مسجلة على معبده في طيبة وظل نفوذه مصر قوياً في فنيقيا بعد وفاة تحوتمنس الثالث وتولية ابنه امنوحوتب الثاني ثم حفيده تحوتمنس الرابع ولم يضعف هذا النفوذ إلا في عهد امنوحوتب الرابع (اختواتون) 1371 - 1358 ق . م. الذي انشغل عن السياسة بالأمور الدينية (7)

وقد استغل الحثيون في آسيا الصغرى فترة انشغال مصر فقدموا لبسط نفوذهم السياسي على شمال سوريا بعد أن استمروا عدداً كبيراً من أمرائها الاموريين والفينيقيين . وتعود الاتصالات الأولى بين الفينيقيين والدولة الحشية إلى عهد الملك الحثي شوبيلو يوما الذي حكم من حوالى 1380 - 1355 ق . م. والذي توسيط في عهده الدولة الحشية على حساب ممالك المدن الكنعانية الشمالية ابتداء من مدينة أوغاريت شمالاً حتى جبيل جنوباً وقد كان العاهل الحثي المشار إليه على درجة كبيرة من الدهاء السياسي بحيث استطاع أن يؤلب معظم ممالك المدن في سوريا الداخلية على النفوذ المصري ويسعى لاستئثارها إلى جانبه وفق ما تذكره « مراسلات رأس

شبراً» ووثائق مراسلات تل العمارنة . وقد بقي الساحل الفينيقي مسرحاً للصراع بين الحثيين والمصريين ، حيث كان كل منهما يهدف إلى السيطرة على أكبر جزء منه . وأدى هذا الصراع في الأخير إلى الاصطدام المباشر في معركة قادش سنة 1296 ق.م. بين الحثيين المصري بقيادة رمسيس الثاني والتحالف الآموري الحثي بقيادة مواتاللي (Mwatalli) وقد ادعى كل من القائدين أن النصر كان حليفه (8).

وفي سنة 1280 ق. م. عقدت أول معاهدة عدم اعتداء وتصالح بين المصريين والحيثيين بعد أن قسموا الساحل السوري إلى منطقتين نفوذ الشمال تحت النفوذ الحثي ، والجنوب تحت النفوذ الاسمي المصري (9). وقد بقي هذا التقسيم مستمراً حتى غزو شعوب البحر التي اندفعت في بداية القرن الثاني عشر ق. م. فقضت على الامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى ، وهدمت عاصمتها بوغازكوي (Hattusha) ثم تابعت الغزو نحو الساحل الفينيقي فدمرت مدنه الكبرى مثل أورغاريت ، وبذلك جعلت حدأً لنفوذ المصري . وقد تابعت شعوب البحر توغلها إلى فلسطين عبر الطريق الداخلي ، وهناك اصطدمت بقوات رمسيس الثالث عند حدود مصر ، واستطاع الملك المصري ردها بعد جهود كبيرة . وكان فرع من شعوب البحر يعرف باسم الفلستر (Philister) استوطن المنطقة الممتدة ما بين غزة جنوباً وجبل الكرمل شمالاً ، وخاصة في المدن الخمسة الموزعة على ساحل المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم فلسطين نسبة إلى الفلستر (10).

أعقب غزو شعوب البحر المدمرة فراغ سياسي في منطقة الساحل الفينيقي استطاعت أثناءه بعض مدن الملك الفينيقي أن تستعيد أنفاسها وتزدهر بسرعة فائقة (11) . وضمن ممالك المدن المزدهرة كانت مدينة صور ، وصيدا وجبيل . غير أن مدينة صيدا كانت قد هدمت على يد ملك عسقلان الفلسطيني ، وانضم سكانها إلى مدينة صور التي تسلمت زعامة المدن الفينيقية في هذه الفترة . وازدهرت تجارة صور البحرية لأن

أنفاس سكانها اتجهت إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية بقصد تنمية تجاراتها والحصول على المواد الخام والمعادن الثمينة التي تفتقد إليها في الساحل الفينيقي .

لم تقتصر العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في البحر المتوسط على الصراع المصري الحلي أو بجيء غزوة شعوب البحر المدمرة ، بل كانت فنيقياً أيضاً تعاني من جيرانها في الداخل كالآشوريين والآراميين والعبانيين والفلسطينيين وقد بدأ نفوذ الدولة الآشورية يظهر في المنطقة بعد القضاء على الدولة الحثية التي كانت تحول دون توسيعهم نحو الغرب (12) وازداد النفوذ الآشوري قوة في عهد الملك تجلات فلاسر الأول الذي يعتقد بأنه غزا سوريا وبلاد الحثيين في حوالي 1094 ق.م. وادعى بأنه احتل أموره وأدخل مدن جبيل وأرواد وصور الفينيقية ضمن المدن التي تدين له بالولاء . تم أمر بقطع أخشاب الأرض وحملها إلى بلاد ما بين النهرين لاستعمالها في بناء المعابد وفي عهد خليفته أشور ناصر بعل الثاني الذي حكم حوالي 884 – 859 ق.م. خضعت كل المدن الفينيقية إلى الآشوريين غير أن خضوعها كان مؤقتاً . حتى أنها عندما أحست بالقوة في نفسها تجمعت في معركة قرقر سنة 853 ق.م. محاولة الخروج عن السيطرة الآشورية فتصدى لها التحالف شالمناشر الثالث 859 – 824 ق. م. وحطمه ولكنه لم يسيطر سيطرة تامة على الساحل الفينيقي . كما ادعى في كتاباته الأثرية التي تركها (13). وقد أرغمت المدن الفينيقية فيما بعد على دفع الجزية للآشوريين في عهد تجلات فلاسر الثالث 745 – 727 ق.م. وابنه شالمناشر الخامس الذين أعادا للدولة الآشورية اعتبارها في منطقة الساحل الفينيقي .

ويلاحظ بأنه إلى جانب الزحف الآشوري على الساحل الفينيقي كانت هناك بعض الشعوب السامية الأخرى التي كانت تسكن منطقة سوريا الداخلية وكان لها بعض التأثيرات على التوسع الفينيقي في

البحر الأبيض المتوسط . ومن هذه الشعوب نذكر الآراميين الذين نافسوا الفنiciين في التجارة البرية مع بلاد ما بين النهرين . وكانت عاصمتهم دمشق مركزاً تجاريّاً هاماً شبيهاً بمدينة صور على الساحل الفنيري (14). وفي الناحية الجنوبيّة الداخلية من سوريا كان العبرانيون يتطلعون إلىأخذ مكانتهم على الشاطئ الفنيري خاصة في عهد داود وسليمان رغم صداقتهم للملك أحيرام في القرن العاشر ق. م. (15).

كل هذه الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة التي كانت سائدة في شرق البحر الأبيض المتوسط سمحت للفنiciين بأن يستغلوا ضعف البحريّة الاغريقية التي تداعّت عقب غزو شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق. م. وانطلق الفنiciيون بعد ذلك إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لبناء مستوطنات تجارية بعيدة عن الصراع الذي كان يشغل جزءاً من الشرقي (16). وقد اختار الفنiciيون الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط لوجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور وضعف القوة الحربيّة لديهم . وهذا الشيء يتناسب مع الروح التجاريّة الفنيريّة التي كانت تنزع إلى العلاقات السلميّة حتى يتوفّر لها المجال لتنفيذ أغراضها التجاريّة (17).

2 — العوامل الاقتصاديّة :

ترتبط العوامل الاقتصاديّة للتّوسيع الفنيري ارتباطاً وثيقاً بالعوامل السياسيّة ذلك أن كلا العاملين يتأثر بالأوضاع الطبيعيّة والبشرية التي كانت تحكم منطقة الساحل الفنيري ، فقد أدت قلة مساحة الأرض الزراعيّة في الساحل الفنيري إلى تحويل اتجاه السكان من الاعتماد على الزراعة مثل جيرانهم في وادي النيل وببلاد الرافدين – إلى الاعتماد على التجارة البحريّة والبرية . وقد ساعد الفنiciين على احتراف التجارة أسباب عديدة نذكر منها :

1) موضع مدنهم القائم على رؤوس متوجلة داخل البحر ، وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل . وهذا ما وفر لهم وجود موانئ طبيعية وأحواض تصلح لبناء السفن .

2) توفر الأخشاب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان على مر التاريخ ساعدتهم على احتراف صناعة الأخشاب وبناء السفن بصفة خاصة

3) تحكم الساحل الفينيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء ويربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وأسيا الصغرى وببلاد الرافدين (18).

وكما ذكرنا سابقاً بدأت علاقة الفينيقين التجارية بسكان وادي النيل منذ الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هناك جالية مصرية مقيمة في جبيل للمساعدة على تسهيل الأعمال التجارية بين فنيقيا ومصر (19). وأهم البضائع التجارية التي تصدر من فنيقيا إلى مصر ، الأخشاب والثياب الارجوانية والخمور والزيوت ، وقد كانت هذه الأخيرة تستعمل للتحنيط . كما كان الفينيقيون يستوردون من مصر مقابل ذلك الذهب ، والصناعات المعدنية ، ومادة الكتابة (أوراق البردى) وتدل نقوش معبد الملك ساحورون في أبوصير على مدى توطيد العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا في عهد الاسرة الخامسة المصرية حوالي 2480 – 2350 ق. م. (20) . وكان الفينيقيون يعملون كوسطاء تجاريين في إيصال بضائع دول شرق المتوسط إلى الشعوب التي كانت في حاجة إليها في جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية . وسرعان ما قلدوا هذه الصناعات فأصبحت لهم بذلك شهرة صناعية خاصة في الثياب ذات اللون الارجوانى التي انفردوا بصناعتها ، وصناعة الحلبي والزجاج الشفاف . ومعظم هذه الصناعات المحلية ازدهرت في فنيقيا ازدهاراً كلياً في فترة الاستقلال الممتدة من أواخر القرن الثاني عشر ق.م. حتى القرن الثامن ق.م. (21).

وقد نتج عن الازدهار الصناعي أن نشطت التجارة البحرية الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط ، واحتكر الفينيقيون طرقها ، ثم وجهوا عنائهم لدراسة أصول الملاحة البحرية معتمدين في ذلك على بر اعتمهم في معرفة الطرق البحرية التي كانوا يكتمون سرها ، أو يزورون حقائقها في بعض الأحيان حتى لا ينافسهم في ذلك تجار الشعوب البحرية الأخرى . ونظرًا لاعتماد الصناعة الفينيقية على مواد خام ، لم يكن بعضها متوفراً في فنيقيا . فانهما كانوا يبحرون إلى الأفاق البعيدة في طلب هذه المواد التي كان بعضها متوفراً في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل خامات الفضة والنحاس التي كانت مناجمتها موجودة في ترشيش (Tartessus) باسبانيا ، والعااج والحلود للحيوانات ثم العبيد وترير الذهب بافريقيا (22). وقد كانت ضرورة حصولهم على المواد الخام التي أشرنا إليها وبيع المستوجات المصنعة تتطلبان إيجاد أسواق ومحطات تجارية يتصل من خلالها الفينيقيون بالسكان المحليين لتنفيذ عمليات البيع والشراء ، التي كانت تتم عن طريق المقايضة . ومن أجل تنفيذ هذا الغرض أسس الفينيقيون عدة محطات تجارية في كل من قبرص ، ورودس ، وصقلية ثم سردينيا ، واسبانيا والمغرب . وقد ترتب عن تأسيس محطة قادس (Gubla) على ضفة خليج النهر الكبير وبجنوب غرب أسبانيا . اكتشاف المحيط الأطلسي من قبل التجار والبحارة الفينيقيين وصلوا فيها بعد عن طريقة إلى جزر كاسيتييريدس (Cassiterides) في الشمال بالقرب من جنوب بريطانيا لنقل معدني القصدير والرصاص (23).

ومن جهة أخرى يذكر سترابون بأن سكان جزر كاسيتييريدس (جزر القصدير) كانوا يبادلون موادهم الخام بالخزف والملح والأواني النحاسية (24). وقد رأى الفينيقيون بأن مستوطنة قادس لا يمكن أن تزدهر أو يسهل الاتصال بها ما لم تكن هناك مستوطنات أخرى بالقرب منها على الشاطئ الذي يربط بينها وبين فنيقيا الأأم . ولذلك نرى الفينيقيين يؤسسون ليكسوس (Lixus) في القرن الحادي عشر ق.م. على الشاطئ

الغربي لبلاد المغرب وكذلك مدينة أوتيكا (Utica) على خليج تونس ثم يتبعون هذين المستوطنتين في بداية الألف الأول ق.م. ببقية المستوطنات والمحطات الأخرى التي وزعت توزيعاً ماهراً على كل شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط . وقد أدى تأسيس المحطات والمستوطنات المشار إليها إلى تشجيع هجرة الفنقيين إلى الحوض للبحر المتوسط وامتزاجهم بالسكان المحليين وكونوا المجتمع القرطاجي فيما بعد (25).

وخلاصة القول يمكن أن نقول بأن السعي وراء الأرباح التجارية والرغبة في الحصول على خامات المعادن الثمينة من إسبانيا وأفريقيا مضافة إلى التأثيرات السياسية والبشرية التي كانت تحيط بالساحل الفنيقي هي الأسباب الرئيسية التي دفعت الفنقيين إلى التوسع في غرب البحر الأبيض المتوسط (26).

8- العوامل الاجتماعية :

لم يعرف الفنقيون الوحدة السياسية في فرات كثيرة من تاريخهم حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي فرضته عليهم عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها . وقد نتج من اتباع سياسة المدينة الدولة أن سادت التزاعات الداخلية بين المدن الفنية وكثير التنافس بين الأمراء على الحكم ، مما جعل الساحل الفنيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة ، غير أن التزاعات الداخلية بين المدن الفنية كانت لا تكتسي طابع العنف مثلما كان يقع بين المدن الأفريقية التي غالباً ما كانت التزاعات الداخلية بينها تؤدي إلى حروب طاحنة تستنزف فيها امكانياتها البشرية والمادية . ويمكن أن تعود الأسباب المانعة مثل هذه التزاعات إلى قوة جيران الفنقيين الأقوباء الذين كانوا في غالب الأحيان يقفون حاجزاً لمنع هذه المدن من الدخول في حروب قد تضر بمصالحهم الاقتصادية .

كما أن افتتاح الساحل الفينيقي على البحر الأبيض المتوسط جعل سكان المدن الفينيقية ينشغلون عن الحروب الداخلية بالأسفار البعيدة... الخ (27) وكانت المدن الفينيقية عبارة عن قلاع قوية محصنة بأسوار عالية يصعب على الأعداء اقتحامها لأن معظمها كان قد بني على رؤوس جزر داخل البحر ليسهل الدفاع عنها (28). وقد نتج عن اتباع الفينيقيين لسياسة الانحناء تجاه القوة المسيطرة في المنطقة أن قسمت فنيقياً وهميأً إلى قسمين شمالي : كان غالباً يدور في فلك الحثيين ثم الآشوريين فيما بعده ويستعين هؤلاء بهم على مدن القسم الجنوبي التي كانت غالباً ما تدور في فلك سياسة ونفوذ مصر ثم تستعين بها ضد الضغط الذي تعانيه من الناحية الشمالية . ويدعم فكرة الانقسام هذه رسائل تل العمارنة التي كان قدبعث بها رب عدي حاكم جبيل إلى الملك منحوتب الرابع (اخناتون) خلال القرن عشر ق. م. (29).

وقد حاولت المدن الفينيقية أن تتحد عدة مرات ، لكنها فشلت في ذلك بسبب السيطرة الأجنبية التي كانت تعانيها . كما كان أيضاً للصراع الداخلي الذي كان سائداً بين الآموريين والآراميين والعبانيين في منطقة سوريا الداخلية ، تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي بنسبة تفوق امكانيات الاستيعاب في المدن الفينيقية الساحلية ، وهذا العامل أدى إلى تفشي الاضطرابات والخلافات على السلطة بين الأعيان الأثرية الذين كان لهم حق الحكم (30). وكان الهرم الاجتماعي الفينيقي مكوناً من ثلاثة طبقات يأتي في أول الهرم الملك أو ما كان يعرف بحاكم المدينة . وقد كان يظن في أول الأمر بأن حكام المدن الفينيقية هم من سلالة الآلهة ، ولذلك يجب طاعتهم وتقديرهم . وتتمتع بهذه الصفة حكام المدن الفينيقية الأقوياء مثل الملك أحيرام الذي كان له الحكم المطلق خلال القرن العاشر ق.م.

يلى طبقة الحكام في الترتيب طبقة الكهنة وعلى رأسهم كاهن معبد الإله ملقارات في مدينة صور ، ثم مجلس الأئرية الارستقراطيين . وأخيراً

هناك مجلس عامة الشعب الذي كان يلتجأ إليه عند نشوب الخلافات السياسية التي تدب بين الطبقات وذلك بغية تنفيذ مآربها باكتساب أعضاء هذا المجلس إلى جانبها (31).

وكانت مجالس الطبقات الحاكمة التي أشرنا إليها بمثابة أحزاب سياسية لكل واحد منها أنصاره ومعارضوه في كل طبقات سكان المدن الفينيقية. وتتصاعد آثار التزاع على السلطة السياسية ، في الصراع السياسي الذي شب في مدينة صور ، خلال نهاية القرن التاسع ق.م. بين أليسا ، وأخيها بعماليون على وراثة العرش بعد وفاة والدهما متان (Mutto) وقتل بعماليون لزوج اخته الكاهن عاشر باص بقصد الاستيلاء على ثروته وانتزاع الحكم من يد أخيه . وقد انحاز لكل واحد منهمما أنصاره .

عندما رأت أليسا عجزها عن الوقوف في وجه أخيها الطاغية ، ففضلت الانسحاب من هذا الصراع صاحبة موئليها والابتعاد إلى موطن جديد (32). وكان ذلك في طليعة الأسباب التي دفعتها إلى الاتجاه نحو شمال إفريقيا ، وإلى بناء مدينة قرطاجة التي ستؤول إليها سيادة المستوطنات الفينيقية في الخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ بداية القرن السادس ق. م. والتي ستغدو في غربى المتوسط مضاهية لنظيرتها مدينة صور في شرقه .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

التَّوْسِعُ الْفَنِيقيُّ فِي غَرْبِيِّ الْمَتوسِطِ

أ — نشوء البحريّة الفنِيقية

١ — البحريّة التجارّية

٢ — البحريّة الحرّبية

٣ — الموانئ

ب — مرحلة التوسيع

١ — مرحلة الارتياح الباكرة

٢ مرحلة الاستيطان

٣ — المشاكل التاريخية

أ — المصادر الكتابية . ب — المصادر المادية

التوسيع الفنقي في غربى المتوسط

تعد دراسة التوسيع الفنقي من بين الدراسات الهامة في تاريخ حوض المتوسط ، ذلك لأنها تمثل مجھوداً بشرياً قام به هؤلاء الأقوام الذين استطاعوا بواسطة الملاحة البحرية أن يربطوا بين أجزاء مختلفة من العالم القديم.

ولكي نعطي فكرة عامة عن طبيعة وكيفية هذا التوسيع لابد أن نفهم بدراسة الوسائل التي اعتمد عليها الفنقيون في توسيعهم ، والطرق التي سلكوها. كما أننا سنشير إلى الأغراض التي تكمن وراء توسيعهم هذا وما لا شك فيه أن الوسائل هي البحرية الفنقية التي اشتهر بها الفنقيون منذ استقرارهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

أ - نشوء البحرية الفنقية

وقفت سلسل من الجبال الممتدة من الأمانوس شمالاً حتى جبل الكرمل جنوباً حاجزاً طولانياً موازياً لساحل البحر فحررت الفنقيين من السهول الزراعية الواسعة ، ومن أحواض الأنهر الكبرى ، الأمر الذي أدى بهم إلى الاعتماد على البحر في حياتهم الاقتصادية . غير أن هذه

الighbال من ناحية أخرى وفرت لهم مادة الأخشاب التي كانت مصدراً رئيسياً لبناء السفن التي نقلتهم إلى معظم أجزاء العالم . كما أن الحاجة إلى مادة الأخشاب كانت من بين الدوافع التي جعلت شعوب دول العالم القديم مثل المصريين وسكان منطقة ما بين النهرين يحاولون الوصول عن طريق الحرب إلى مصادر الأخشاب في سوريا حتى يسهل لهم الحصول عليها بغية استعمالها في مختلف حاجاتهم المعمارية وبناء الأساطيل . وقد اشتهرت أخشاب الساحل الفينيقي بالجودة والوفرة كما أشارت إلى ذلك نصوص الشواهد المصرية (1). ويظهر بوضوح النقش الذي ينسب لمعبد سيتي الأول ملك مصر مدى احتياج المصريين لأنواع الأخشاب فنيقياً (2). كما أشير إلى أهمية أخشاب الأرز الفينيقية في الاتفاقية التي تمت بين أحيرام ملك صور . وسليمان الحكم ملك العبرانيين في بداية الألف الأول ق.م. (3).

أما حاجة بلاد ما بين النهرين إلى الأخشاب الفينيقية فقد ظهرت في الرسوم المنقوشة على جدران قصر خرسناد الآشوري الذي بني سقفة ومرافقه الأخرى بأخشاب أرز فنيقيا التي كانت تفرض على الفينيقيين ضمن الجزية التي كانت تدفعها مدنهم للأشوريين وكان أول عمل قام به الملك تجلات فلاسر الأول حينما غزا شمال فنيقيا سنة 1094 ق.م. هو قطع الأخشاب وحملها إلى أشور لاستعمالها في هيكل الإلهة (4). بالإضافة إلى احتياج الجيران كانت فنيقيا نفسها تستعمل الأخشاب بكثرة في صناعتها الداخلية مثل بناء المعابد وصناعة السفن الخ ..

وكان نقل الأخشاب من أماكنها في أعلى الجبال يتم بطريقتين :

١ - تجمع الأخشاب في مجاري السيول والوديان الفصلية التي غالباً ما تفيس في الشتاء فتتجه بها إلى الأماكن المعدة لها على السواحل .

٢ - تقطع الأخشاب وتحمل من طرف العمال مباشرة ، كما أشير إلى ذلك في اتفاقية حيرام وسليمان التي ذكرناها آنفاً .

بعد نقل الأخشاب إلى أسفل تجمع في شكل آرمات ثم تصدر خارج فنيقيا أو توضع في أحواض خاصة ويشرع في صناعة القوارب ثم السفن التي تكون البحرية الفينيقية بنوعيها التجارية والبحرية . غالباً ما كانت أحواض صناعة السفن توجد ضمن الموانئ البحرية .

١ - البحرية التجارية :

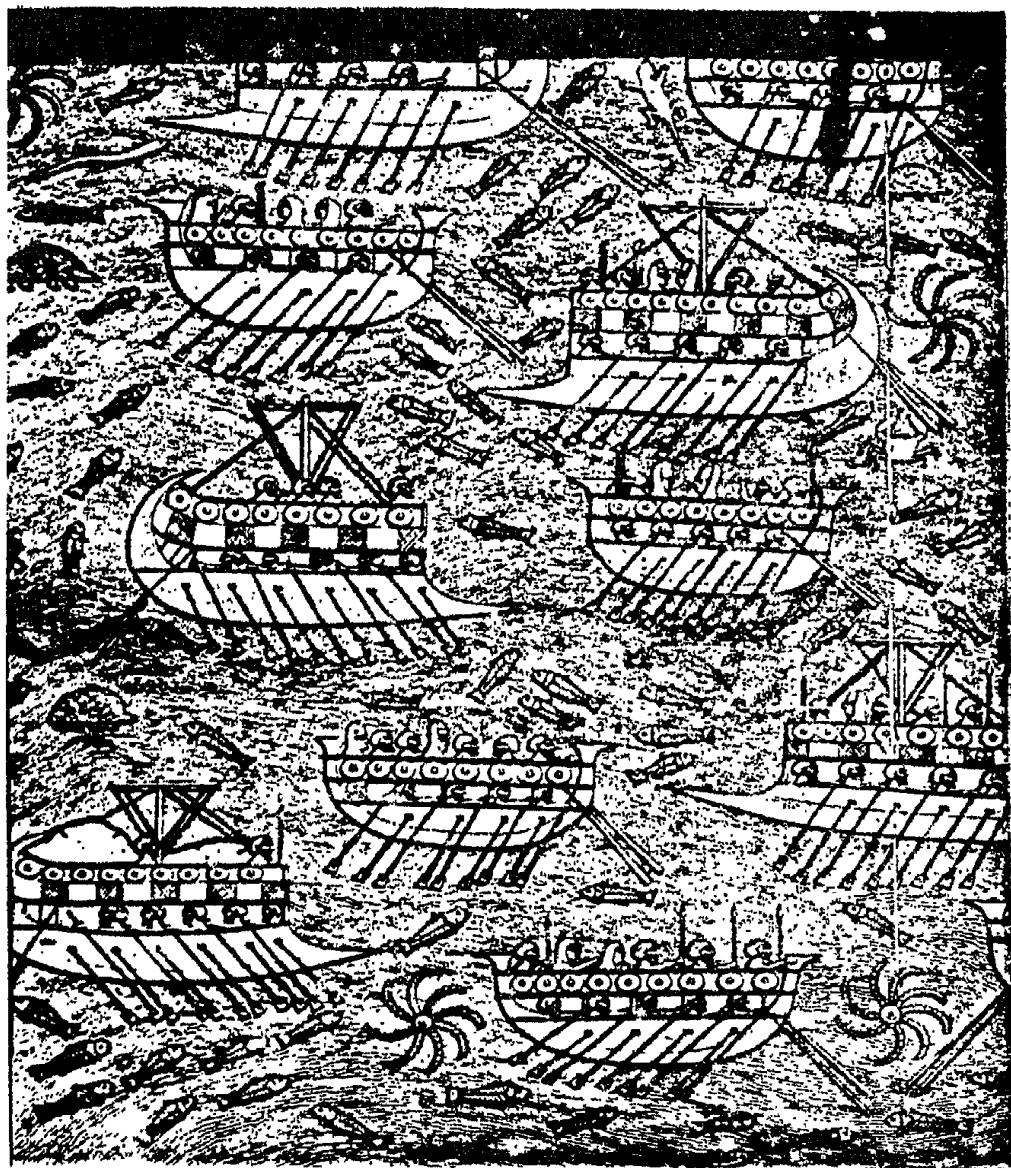
تأثر تاريخ ظهور البحرية الفينيقية في شرق المتوسط بعدة عوامل اقتصادية وسياسية نتج عنها سبق البحرية التجارية زمنياً للبحرية الحربية . وقد كانت القوارب والسفن الفينيقية في أول الأمر معدة للاحتمال الخفيفة مثل الصيد ونقل البضائع بين المدن الفينيقية نفسها وذلك لصعوبة الطرق البرية التي تربط بين هذه المدن . ولم يغامر الفينيقيون في أول الأمر في وسط البحار بل كانوا يحاذون الشواطئ في أسفارهم التجارية .

ونظراً لأن سرعة السفن الفينيقية كانت في بادئ الأمر لا تتجاوز بضعة أميال ، فإن مدنهم على الساحل الفينيقي ، ومستوطناتهم على شواطئ المخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كانت قريبة من بعضها بحيث لا تزيد المسافة الفاصلة بين كل مدينة وأخرى عن ملاحة يوم كامل وقد ترتب عن فقدان عنصر السرعة في السفينة الفينيقية اتباع التجار الفينيقيين لمبدأ إقامة الأساكيل (Escales) على الشواطئ أثناء أسفارهم البعيدة التي كانوا يقومون بها إلى غرب البحر الأبيض المتوسط . وكان غرضهم من ذلك أن تجد سفنهما مساء كل يوم من السير شاطئاً تأوي إليه ليستريح بحارتها من عناء التجديف اليومي ، ويتوعدون بالمؤن اللازمة لمواصلة الرحلة .

هذا وتختلف السفن التجارية في شكلها عن السفن الحربية ، حيث أن الأولى كانت مستديرة ، وتظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين ، وشكل

المقدمة غالباً ما يشبه عنق ورأس طير ، وكانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية ثم تقدمت صناعتها عندما أصبحت تتوغل في البحار والمحيطات فزودت بالمجاذيف التي تستعين بها في غالب الأحيان عند الدخول إلى الموانئ أو الخروج منها في حالة سكون الرياح . وهي تشبه إلى حد كبير السفن المستعملة حالياً في موانئ سوريا والتي يطلق عليها اسم الماعون (Mahounes) (5) ، ويشرط في السفينة الفنية التجارية سعتها الكبيرة لحمل الكثير بغض النظر عن عامل السرعة . وقد وجدت عدة نماذج لسفن تجارية فنية منقوشة على جدران قصر خرسناد الذي بني في عهد سرجون الثاني ملك أشور في القرن الثامن ق.م. (أنظر الشكل رقم 3) ص 51 .

أما في مصر فان أقدم رسم للسفن التجارية عبر عليه منقوشاً على جدران قبر أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة في مدينة طيبة يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الخامس عشر ق.م. (7) . وكان الرسم يمثل شكل سفينة مستديرة طرفاها الأمامي والخلفي مرتفعان ارتفاعاً عمودياً، وفي مقدمتها يقف بحار يسلك بيده عصا طويلة يحس بها الأعماق . بالإضافة إلى ذلك كانت السفينة أيضاً مجهزة بصاري مركزي مد عليه شراع مربع . وهناك رسم آخر لسفينة شراعية فنية عبر عليها الآثريون سنة 1914 مرسوماً على جانب إحدى التوابيت في مدينة صيدا بفينيقية نفسها ، وكان هذا الرسم عبارة عن جسم سفينة مستديرة مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير البجع ، ومقدمتها تنتهي بساقية حارس ولها قلع كبير مربع محمول على صاري مركزي تدفع بواسطة السفينة ، وفي المقدمة صاري صغير به قلع يستعان به على تحريك الدفة ، وتوجه السفينة من مركز فوقها (8) . ورغم أن الفينيقيين كانوا لا يعرفون البوصلة فأنهم كانوا يعتمدون في أسفارهم على النجم القطبي الذي سماه اليونان باسم فونيكس (Phoinix) وقد بلغ الاسطول الفينيقي التجاري أقصى ازدهار في شرق البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الحادي عشر ق.م. في عهد صيدا وصور (9)



(الشكل رقم 3)

صورة للمراتب الفنية التجارية والبحرية

واعتباراً من القرن السادس ق.م. بدأت قرطاجة تتسلم مكان صور في سيادة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وواصل الأسطول الفينيقي ازدهاره تحت زعامتها إلى أن اضمحل نهائياً في نهاية الحرب البوئية الثانية 201 ق.م. إذ بموجب معاهدة الصلح التي أبرمت بين روما وقرطاجة التزمت هذه الأخيرة بالتخلي عن سطوها البحري فيما عدا 10 سفن (10).

2 – البحرية الحربية :

لقد اشتهر الفينيقيون منذ عهودهم الباكرة على الساحل السوري بأنهم تجارة ماهرون استطاعوا أن ينفذوا إلى أجزاء مختلفة من العالم بواسطة التجارة والمبادلات السلمية دون أن يثيروا الشكوك حولهم . كما كانت لهم سهولة التأقلم مع أي وضع سياسي في المناطق التي يتذرون بها لأن هدفهم كان هو الكسب التجاري والحصول على الأرباح الطائلة دون محاولة للتدخل في الأوضاع السياسية السائدة هناك (11) . وورد في التوراة على لسان حزقيال وصف يكاد يكون شاملـاً للمواد التي تصنع منها السفن وللنشاط الاقتصادي الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط الذي كانت تترעם مدينة صور : « قل لصور أيتها الساكنة عند مدخل البحر ، تاجرـة الشعوب إلى جزائر كثيرة هكذا قال الرب ، ياسور أنت قلت أنا كاملة الجمال تخوـلـك في قلب البحور . بنـاؤـوك تمـمـوا جـمـالـك عملـوا كلـاـواـلكـ من سـرـوـ سـنـيرـ . أـخـذـوا أـرـزاـ من لـبـانـ ليـضـعـوه لـكـ سـوـارـي صـنـعـوا من بـلـوط باـشـانـ نـجـاذـفـكـ صـنـعـوا مـقـاعـدـكـ من عـاجـ مـطـعـمـ . كـتـانـ مـطـرـزـ من مـصـرـ هو شـرـاعـكـ يـكـونـ لـكـ رـايـةـ . أـهـلـ صـيـدـونـ وـأـرـوـادـ كـانـوا مـلـاحـيـكـ . حـكـماـوـكـ يـاـ صـورـ الـذـيـنـ كـانـواـ فـيـكـ هـمـ رـبـاـيـنـكـ . شـيوـخـ جـبـيلـ وـحـكـماـوـهـاـ كـانـواـ فـيـكـ قـلـافـوـكـ . جـمـيعـ سـفـنـ الـبـحـرـ وـمـلـاحـوـهـاـ كـانـواـ فـيـكـ لـيـتـاجـرـواـ بـتـجـارـتـكـ بـنـواـ أـرـوـادـ مـعـ جـيـشـكـ عـلـىـ اـسـوـارـ مـنـ حـوـلـكـ وـاـبـطـالـ كـانـواـ فـيـ بـرـوـجـكـ عـلـقـواـ أـتـرـاسـهـمـ عـلـىـ اـسـوـارـكـ . هـمـ تـمـمـواـ جـمـالـكـ . تـرـشـيـشـ تـاجـرـتـكـ بـكـثـرةـ كـلـ غـنيـ بـالـفـضـةـ وـالـخـرـيرـ وـالـقـصـدـيـرـ وـالـرـصـاصـ أـقـامـواـ اـسـوـاقـكـ بـنـفـوسـ

الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتكم » (12).

وقد سبق أن أشرنا إلى أن البحرية التجارية لدى الفينيقيين كانت أسبق من الحربية ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لظهور هذه الأخيرة في شرق المتوسط غير أن الذي نعرفه هو أن الفينيقيين كانوا يقودون البحرية الحربية في بلاد الشرق القديم . وكان الاشوريون عند استيلائهم على الساحل الفينيقي يستخدمون سفن المدن الخاضعة لهم لامحام ثورات المدن الأخرى التي كانت تمنع عن دفع الجزية وتحاول القيام بثورات مضادة للحكم الآشوري من آن لآخر . ويؤكّد ذلك انضمام سفن كل من صيدا وعكا ، وصور التي في البر إلى الملك الآشوري شلمناصر الثالث أثناء حصاره لمدينة صور سنة 722 ق.م. والذي دام لمدة خمس سنوات تم انتهاؤها بمعاهدة التزمت فيها صور بدفع الجزية للأشوريين (13) . كذلك طلب الملك الآشوري سحربيب من الفينيقيين أن يبنوا له أسطولاً حربياً عندما أراد أن يخضع المنشقين عنه في جنوب بلاد ما بين النهرين ، ووُجد ضمن بقايا قصره في فينوي رسم منقوش يصور جزء من حملته تلك (14) . وقد بقي للاسطول الفينيقي الحربي أهميته في شرق المتوسط حتى في أثناء الحقبتين البابلية والفارسية ، من ذلك أن ملك صيدا في العهد الفارسي كان هو الامير الـ الكبير للاسطول الفارسي . كما شاركت السفن الحربية الفينيقية ضمن الاسطول الفارسي في معركة سلاميس (Salamis) سنة 480 ق.م. وآخر ضربة وجهت للقضاء على الاسطول البحري الفينيقي في شرق البحر الأبيض المتوسط يمثلها استيلاء الاسكندر المقدوني على مدينة صور سنة 332 ق.م. بعد أن هدم أسطولها الحربي بمساعدة السفن القبرصية .

أما بقصد البحرية في غربي المتوسط فإن تاريخها يعود إلى القرن السادس ق.م عندما تسلّمت قرطاجنة سيادة المستوطنات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط بعد استيلاء نبوخذنصر على مدينة صور سنة 574

ق.م. (15). وقد أصبحت قرطاجة بعد ذلك تهيمن على تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مما دعاها إلى الاعتناء بأساطولها الحربي حتى تضمن لنفسها السيطرة الكاملة على المنطقة .

غير أن قرطاجة كانت قد بدأت تخلى من مزاحمة الدوليات الإغريقية في جنوب إيطاليا وصقلية منذ أن أحسست برغبة التوسيع التجاري تدفع سكان المدن الإغريقية لمنافسة الاتروسكيين والقرطاجيين في السيادة على البحر التيراني بقصد حماية الطريق الرابطة بين صقلية وما يليها (مرسيليا حالياً) التي أقيم فيها مركز تجاري إغريقي (16). لذلك نرى أن قرطاجة تحالفت مع الاتروسكيين في معركة الاليا (Alalia) بكورسيكا سنة 535 ق.م. لتحطيم الأسطول الإغريقي (17). ثم عمد القرطاجيون بعد ذلك إلى طرد الإغريق من جنوب إسبانيا ، ووقفوا في وجه توسيع المراكز الإغريقية في قرية بليبيا (Cyrenaica) وذلك بمنعهم لدوريوس (Dorieus) ابن ملك اسبارطة من التوسيع التجاري في سواحل ليبيا باتجاه خليج السرت غرباً سنة 501 ق.م. ولم تقنع قرطاجة فقط بمحاصرة الإغريق ، بل وقعت عدة معاهدات مع روما التي كانت بدورها تحاول أن تأخذ مكانها على الشاطئ الشمالي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . غير أن الأسطول القرطاجي الحربي كان قد تلقى ضربة قاسية لأول مرة من التحالف الإغريقي في معركة هيمرا (Himera) شهاب صقلية سنة 408 ق.م. مما أدى بقائده هملكار الماغوني إلى الانتحار من جراء هذه الهزيمة . وقد أثر تحطيم الأسطول القرطاجي في هيمرا على حكومة «الأقلية» القرطاجية فاتجهت بعد ذلك نحو إفريقيا وأصبحت تعتمد على الفلاحنة في شواطئ بلاد المغرب ثم قامت بتجهيز أسطولين تجاريين أرسلت أحدهما تحت قيادة حنون إلى سواحل إفريقيا الغربية فعاد إليها محلاً بتبر الذهب والعاج وغير ذلك من خيرات إفريقيا الاستوائية ، ووجهت الثاني تحت قيادة حملكان (Hamilco) إلى جزر «كاسميريدس» جنوب غرب بريطانيا فجلب لها من هناك القصب والرصاص (18).

وعلى العموم فقد الاسطول القرطاجي هيئته بعد « معركة هيمرا » وأصبح يتغنى بذلك حتى جاءت الحروب البونية 264 – 146 ق.م. التي تقابلت فيها روما وجهاً لوجه مع قرطاجة في ثلاثة حروب قضي أثناءها على سيادة الاسطول البحري القرطاجي في غربي المتوسط اعتباراً من نهاية الحرب الأولى ، وبالتالي هدمت قرطاجة سنة 146 ق.م.

أما من حيث الفروق القائمة بين السفن التجارية والبحرية فان هذه الأخيرة (أي البحرية) كانت مستطيلة الشكل ولها مؤخرة مرتفعة ومقدمة غالباً ما تكون في مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية في شكل سكة المحراث يطلق عليها اسم رأس الكبش (Ram) تستعمل لتحطم سفن الأعداء أو قلبها في الماء أثناء الاصطدام بها (19). بالإضافة إلى ذلك كانت السفن الفنية تتميز بالخففة وسرعة الحركة في جميع الجهات أثناء مناورات الأعداء ، وهي تعتمد في سيرها على المجاديف بدلاً من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية ، وقد كانت في أول الأمر تعتمد على صفين من المجلدين يتظنم أحدهما فوق الآخر ، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فأصبحت ذات ثلاث صفوف وأربعة.. الخ. حتى التسع صفوف أحياناً²⁰ وكانت السفن القرطاجية التي شاركت في الحرب البونية الأولى قد اختيرت من ذوات الخمس صفوف التي تتسع لحوالي 300 مجذف وتحمل على سطحها حوالي 100 مجذف بأمتعتهم . ولربما يكون هذا العدد غير مقبول إلا أن المثال الآتي سيوضح ذلك : ففي معركة أكโนموس (Ecnomus) البحرية سنة 250 ق.م. والتي عد من أبرز المعارك البحرية البحرية التي دارت بين قرطاجة وروما ، كان الاسطول القرطاجي في هذه المعركة يتكون من 350 سفينة تحمل على متنها 150 ألف جندي ، ومقابل ذلك كان الاسطول الروماني يتتألف من 330 سفينة تحمل على متنها 140 ألف جندي روماني (11) . وهكذا نرى أنه إذا قسمنا عدد الجنود القرطاجيين على عدد السفن نحصل على حوالي 428 جندي وهو ما تتحمله السفينة الواحدة ، وهذا يرينا صدق ما أشرنا إليه سابقاً .

ومن المرجح أن قرطاجة لم تكن في نزاعها مع الاغريق ، تم مع الرومان بحاجة ماسة إلى السفن الحربية الوفيرة بقدر حاجتها إلى جيش من أبناء قرطاجة أنفسهم قوي في البر وفي البحر على السواء . وقد حاولت قرطاجة بعد معركة هيمراء سنة 480 ق.م. أن تلافي هذا النقص باعتمادها على تجنيد المرتزقة غير أن ذلك لم يحل المشكلة نهائياً بل أصبح هو لاء المرتزقة يشكلون عذير اضطراب ، ومصدر قلقل بالنسبة لقرطاجة وستظهر نتيجة ذلك في أعقاب الحرب البوئية الأولى (241) ق.م. أبان الثورة الخطيرة التي عرفت باسم « ثورة المرتزقة » (22).

ساعدت كثرة الموانئ الفينيقية على ازدهار الحركة التجارية لدى الفينيقيين ودفعتها نحو الأمام . وقد عمل الفينيقيون على اتباع مبدأ الميناءين في المدينة الساحلية الواحدة سواء أكان ذلك في فنيقيا الام أو معظم مستوى طنائهم الأخرى في غرب المتوسط وكان هدفهم من ذلك في أول الأمر وضع سفنهم في مأمن من تقلبات الطبيعة وهيجان البحر ، ولذلك فانهم كانوا يختارون الميناء المحمي من الرياح ويرسون فيه (23). فمثلا إذا كانت الرياح شمالية فانهم يرسون في ايناء الجنوبي من المدينة وإذا كان العكس فانهم يختارون الميناء الشمالي وهكذا استطاع الفينيقيون ببراعة تفكيرهم أن يتقووا شر تقلبات الطبيعة في أول الأمر .

3 - الموانئ :

أما بعد ظهور بناء الأرصفة القوية والحواجز الجدارية التي تحمي الموانئ فان هدف الفينيقيين من مبدأ وجود الميناء بين قد تغير فاصبح الغرض منه استراتيجياً (24). كذلك ساعد الفينيقيين على بناء الموانئ طبيعة بناعمدتهم على رؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل . وقد بنيت على النمط الأول أي على (رؤوس) كل من صيدا التي كانت تتمتع بميناءين أحدهما إلى الشمال من المدينة ، والثاني إلى الجنوب منها.

ويعتقد بأن هذين الميناءين كانوا متصلين من الداخل بقناة تربط بينهما.

وقد وصف المؤرخون ميناء صيدا الجنوبي بأنه كان يتكون من أرصفة وحواجز وأحواض ومحاط من الداخل بصخور ناتعة ربط فيما بينها فاصبحت تشكل رصيفاً قوياً في وجه الأمواج وهي الآن مغمورة باللักษ على عمق يراوح بين 8 – 15 م تحت سطح البحر (25). وكانت مدينة قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط هي الأخرى قد بنيت على رأس داخل البحر وتتمتع بميناءين ، أحدهما تجاري له شكل مستطيل يحيط به سور قوي يبلغ عرضه حوالي 4,53 م يقفل مدخله بسلسل حديدية (26). وهناك قناة توصل إلى ميناء داخلي له شكل دائري هو الميناء الحربي الذي كان يعرف باسم القاطعون (27). كذلك كانت بانورموس في صقلية ونورا في جنوب إيطاليا تتمتعان بميناء مزدوج . وهناك نوع آخر من المدن الفينيقية التي بنيت على جزر وكانت هي الأخرى تحتوي على ميناءين من ذلك مثلاً مدينة صور (Tyr) التي كان ميناوها الشمالي يعرف بالمرسي الصيداوي والجنوبي يطلق عليه المرسي المصري (28).

وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الملك أحiram الذي ازدهرت في عهده صور حوالي القرن العاشر ق.م هو الذي أوصل بين جزيرة صور والجزر الصغيرة المحاذية لها بسور ثم كون الميناءين الشمالي والجنوبي طبقاً للعادة الفينيقية وربط بينهما بقناة داخلية (29) وعلى هذا المنوال كانت مدينة قادس في الطرف الجنوبي الغربي من شبه إيبيريا ، هي الأخرى قد بنيت على جزيرة ، وتنعم بنظام الميناءين التجاري والحربي وقد قدم سترابون وصفاً دقيقاً لطبوغرافيتها إلا أن ذلك الوصف لا يتطابق الواقع قادس الحالي وذلك بسبب التغيرات التي انتابت موقع المدينة والتصاق جزيرتها باليابسة (30) . وكانت مراكز الفينيقيين في كل من إيبيزا (Ibiza) في الباليلار وموتيما (Mottya) في صقلية تتبعان أسلوب الميناء المزدوج (31) . ويحتمل بأن المدن والمراكز

الفينيقية المزدوجة المبنية هي التي كانت تمثل القواعد الحربية الفينيقية خاصة في فترة الالف الاول قبل الميلاد .

ب - مراحل التوسيع

لقد كانت وضعية ممالك مدن الساحل الفينيقي قبل مستهل القرن الثاني عشر ق . م غير ملائمة ذلك لأن هذا الساحل كان يمثل امتداداً لنفوذ جيرانه الأقوياء ، الامبراطورية المصرية في الجنوب ، والدولة الحثية في الشمال ، غير أن غزو شعوب البحر المدمرة التي انطلقت من شمال بلاد اليونان مجتاحة جنوبه وآسيا الصغرى ثم الساحل السوري كانت قد دمرت كل معالم الحضارة التي وجدتها أمامها ، وبالتالي كان لها أثرها العميق في تغيير الاوضاع السياسية في المنطقة حيث قضى على الدولة الحثية في شمال الساحل الفينيقي من قبل هؤلاء الغزاة بعد تدمير عاصمتها بوغاز كوي (حاتوشما) حوالي ستة 1200 ق. م ووضع حدأً لنفوذ المصري في الجنوب (32) .

وقد ترتب عن هذا التغيير أن أصبحت مدن الساحل الفينيقي التي استعادت قوتها بسرعة فائقة تنعم بفترة استقلال دامت حتى القرن التاسع ق . م عندما ظهرت قوة الدولة الآشورية في المنطقة على يد أشور ناصر بعل الثاني 878 ق . م ولكن أخبارنا عن فترة الاستقلال هذه قليلة جداً ، ذلك لأننا نستقي معلوماتنا عن الفينيقيين من وثائق جيرانهم التي لم تشر إلى هذه الفترة لأن هؤلاء الجيران كانوا بعيدين عن المنطقة ، كما أن الفينيقيين من جهة أخرى لم يتم كوا لـ ما يشير إلى هذه الفترة بالتفصيل فيما عدا تلك المعلومات التي تشير إلى زعامة صيدا وصور للمدن الفينيقية منذ القرن الثاني عشر ق . م .

وكانت صيدا هي التي تقلدت هذه الزعامة في أول الأمر فعملت على إنماء الحركة التجارية الفينيقية في شرق البحر الأبيض المتوسط ،

وبذلك أصبح المجال مفتوحاً للفنيقيين بعد سقوط البحريمة الایجية التي كانت تسيطر على تجارة شرق المتوسط على يد الأقوام الدورية (33) ومد الفنيقيون سيادتهم إلى جزيرة قبرص فأسسوا فيها مدينة كيتيون (Kition) وقد وجد مكتوباً على نقود صيدا بأنها المؤسسة لمدينة هيبون (Hippo-Rigius) في شمال إفريقيا، ومدينة كيتيون في قبرص ، ويذكر هوميروس في الألياذة بأن تجارة الأقمشة والنحاس في هذه الفترة كانت من احتكار مدينة صيدا وحدها (34) .

غير أن ازدهار صيدا وسيادتها البحريمة لم يدوما طويلاً ، فسرعان ما نراها ترك المجال لمدينة صور بعد التهديم والنهب اللذين منيت بها حوالي سنة 1195 ق . م من طرف ملك مدينة عسقلان الفلسطيني ، وكانت صور قبل هذه الفترة تابعة لصيدا حتى قيل بأن صيدا كانت أمّا لصور (35) . وبعد كارثة التهديم التي أشرنا إليها في صيدا ، انتقل سكانها إلى صور وتبوأت هذه الأخيرة مكانة الصدارة على الساحل الفنطي ثم استعادت قبرص إلى حظيرتها بعد أن كان سكانها قد امتنعوا عن دفع الجزية التي كانوا يقدمونها إلى مدينة صيدا قبل ذلك ونظراً لقرب جزيرة قبرص من الساحل الفنطي فإنها كانت محطة أنظار التجار الفنيقيين . كما أنها كانت تعتبر بثابة محطة أولى على الطريق التجاري بين الوطن الأم والبحر الأبيض المتوسط الغربي عبر بلاد اليونان والمستوطنات الفنطية الأخرى (36) . وكانت مراكز الفنيقيين في قبرص تحيط بالجزيرة .

ويشير المؤرخون الاغريق القدامى بأن الفنيقيين اشتغلوا بتعدين النحاس في الجزء الشرقي من قبرص . ثم حاولوا البحث عن معادن الذهب في نفس الجزيرة غير أنهم لم يجدوا التوفيق الذي وجدوه في بحثهم عن النحاس والفضة في الجزيرة نفسها (37) وقد عبر في كيتيون على بقايا أثرية فنطية تعود إلى ما بين العاشر ، والثامن ق . م

بالاضافة الى ذلك كانت أليسا (Elissa) أثناء خروجها من صور متوجهة الى شمال افريقيا قد نزلت بقبرص فاستقبلتها كاهنها الذي اصطحبته معها في رحلتها بعد أن رضيت بأن يكون حق الاشراف الديني في المدينة الجديدة التي ستبنىها وفقاً عليه ، وعلى أسرته من بعده . (38) .

وقد حل الفينيقيون برودس فأسسوا فيها مراكز فنية أثناء رحلة قلموس الاسطورية في شرق البحر الابيض المتوسط (39) . وليس من المؤكّد بأن الفينيقيين كانوا قد نزلوا في كريت وإنما يحتمل بأنه كانت لهم علاقة تجارية مع جنوبها الشرقي . وحل الفينيقيون في جزر البحر الابيجي مثل جزر السيكلااد (Cyclades) وثيرا (Theara) وميلوس (Melos) وأولياروس (Oliaros) . كما وصلوا الى بلاد اليونان الام ، وكانت لهم مراكز متنقلة في كل من طيبة وأثينا (40) وورد في شعر هوميروس بأن المراكب الفينيقية كانت تؤم بلاد اليونان محملة بالاطايب الفينيقية .

وقد تعلم الاغريق عن الفينيقيين صناعة السفن الكبيرة والاسترداد في أسفارهم البحرية بالنجم القطبى . وحتى إذا لم يمكث الفينيقيون في بلاد اليونان أو لم تكن لهم مراكز تجارية مستقرة بها فاننا لا نستطيع أن ننكر العلاقات التجارية الباكرة التي قامت بين الشعرين الفينيقي الاغريقي على مر العصور ، والتبادل الحضاري المتمثل فيأخذ الكتابة الفينيقية من طرف الاغريق في القرن السابع ق . م ثم نقلها الى أوروبا فيما بعد عن طريق هؤلاء الاخرين . ويحتمل أيضاً أن يكون وصول الفينيقيين الى جزر البحر الابيجي وجنوب بلاد اليونان الام بثابة الخطوة الاولى التي مهدت لهم الطرق للوصول الى غربى البحر الابيض المتوسط ، واكتشاف المحيط الاطلسي فيها بعد .

١ - مرحلة الارتياز الباكرة

يمكن أن نعيد مرحلة ارتياز الفينيقيين الباكرة لغربي البحر الأبيض المتوسط وبلاد المغرب إلى فترة ازدهار المدن الفينيقية على الساحل السوري والتي بدأت منذ القرن الثاني عشر ق. م و كان الفينيقيون خلال رحلاتهم الاستكشافية الأولى عبارة عن تجار متنقلين يجرون وراء الأرباح ، وخاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة ، هذه المعادن كانت متوفرة في غربي البحر الأبيض المتوسط ، لا سيما في منطقة شبه جزيرة ابيريا التي كانت تحتوي على مناجم الفضة والنحاس في (ترشيش) . ويعتقد بأن المعادن المذكورة كانوا قريبين من سطح الأرض بحيث لا يستدعي الحصول عليها حفر المناجم العميقة (41) .

ويشبه احتياج الفينيقيين إلى معادن الفضة والقصدير والرصاص في تلك الحقبة الباكرة من التاريخ باحتياج النهضة الحديثة إلى معادن الذهب أو البترول . ولذلك لا غرابة أن نرى الفينيقيين يعملون على تأسيس مراكز ومستوطنات في الأماكن التي توفر فيها هذه المواد الأولية التي كانوا يحملونها في سفنهم بقصد إيصالها إلى الشعوب المصنعة في شرق البحر الأبيض المتوسط مثل اليونان والمصريين ، وسكان الرافدين . وقد ساعد الفينيقيين على تأسيس مراكزهم التجارية الأولى في شبه جزيرة ابيريا جهل السكان المحليين باستعمال المعادن الموجودة في بلادهم وانكبوا بهم على اقتناء البضائع الفنية المصنعة التي كانت غالباً ما تتمثل في الشاب الارجوانية والفحارمية ، والخليل ، والزجاج (42) .

ويحتمل بأن الفينيقيين في فترة الارتياز الباكرة هذه كانوا قد أسسوا محطات تجارية (Factories) يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيين بقصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة . وقد بدأت هذه المحطات الصغيرة تنمو و تتسع عن طريق الهجرات المتواترة من الساحل الفينيقي إلى المحطات الجديدة . وخلال هذه الفترة الباكرة كان

الفينيقيون يحاولون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط لاختيار أماكن تصلح لبناء محطاتهم ومستوطناتهم التجارية المقبلة خاصة على شواطيء بلاد المغرب التي كانت معظم سواحلها صخرية . ومعرضة للرياح الشهالية فيما عدا منطقة شمال تونس (43) . وكان الفينيقيون من جهة أخرى يدركون مدى أهمية سواحل شبه جزيرة ايبيريا ووسط غربي افريقيا التي جذبت انتباهم بمعادها الشمينة ، وموادها الخام المتوفرة ، وبين فنيقيا الام في شرقى البحر الابيض المتوسط . لذلك نرى الفينيقيين يؤسسون عصبة ليكسوس (Lixus) على السواحل الغربية لبلاد المغرب في وقت واحد مع تأسيس قادس (Gadis) في شبه جزيرة ايبيريا (1110 ق. م) ، وكذلك مدينة اوتيكا (Utiga) 1101 ق . م في الناحية الغربية من خليج تونس الحالي بالقرب من مصب نهر مجردة (44) . وقد تحولت هذه المدن فيما بعد إلى مستوطنات اسكان احتل فيها أهالي البلاد حضارياً بالقادمين الجدد من الفينيقيين . وقد تسارعت العملية بعد ازدهار مستوطنة قرطاجة التي استطاعت بحكم موقعها الاستراتيجي أن تتزعم كل المستوطنات الفينيقية في غربى البحر الابيض المتوسط منذ القرن السادس ق . م على الأقل .

وهكذا نرى أن عملية الارتياح الباكرة قد تمت في ظروف لا زالت المصادر المادية والكتابية غير متفقة عن تحديد معالمها (45) . ومن المحتمل أن المستوطنات الفينيقية في غربى البحر الابيض المتوسط كانت قد بدأت على شكل محطات تجارية مرتبطة بالوطن الام ولم تحول الى مستوطنات الا بعد أن استكملت شروطها الاولىتمثلة في تكاثر أعداد المهاجرين . الفينيقيين في المحطات التجارية الجديدة ، ثم محاولة تعاوّنهم مع السكان المحليين بقصد اتاحة الفرصة لهم للعمل على تنفيذ مآربهم الاقتصادية ، وبالتالي انشاء حضارة جديدة سترى فيما بعد بالحضارة القرطاجية .

٢ - مرحلة الاستيطان :

تعتبر فترة استيطان الفينيقيين في غربي البحر الأبيض المتوسط مكملة لمرحلة الارتياد الباكرة التي أسلفنا الاشارة إليها ، وليس هناك تاريخ محدد قائم بذاته نستطيع أن نفصل به بين المرحلتين ، وإنما يحتمل بأن المحطات الهامة والمراکز التجارية التي كانت قد أُسست في مرحلة الارتياد الباكرة في كل شطري الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط الشمالي والجنوبي هي نفسها قد تحولت إلى مستوطنات حينما اكتملت هذه الشروط الملائمة لذلك .

وهناك من المؤرخين من يعيد فترة الاستيطان الفينيقي في غربي المتوسط إلى القرن العاشر ق . م على اعتبار أن هذا القرن يمثل العصر المذهبي بالنسبة للساحل الفينيقي عامه ، ومدينة صور خاصة تحت حكم الملك حيرام بن أبي بعل (980 - 936 ق . م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مدينة صور (46) . واستطاع الملك أحيرام بحنكته السياسية وقوه شخصيته أن يوفر الاستقرار الداخلي ، ويحسن علاقة صور الخارجية السياسية والاقتصادية مع جيرانها . كما عمل على تشجيع التجارة البحرية في كامل شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وحسن ميناء صور . وعليه يعزى كثير من المؤرخين توسيع وتوسيع المستوطنات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط (47) .

وإذا صحت آراء المؤرخين فإن تحويل المحطات التجارية الفينيقية الباكرة في غربي البحر الأبيض المتوسط إلى مستوطنات يرجع الفضل فيه بالدرجة الأولى إلى مدينة صور التي آلت إليها الرعامة السياسية والاقتصادية على مدن الساحل الفينيقي منذ القرن الثاني عشر ق . م وحتى إذا شاركت بعض المدن الفينيقية في عملية الاستيطان هذه فقد فعلت تحت راية مدينة صور وبأمر منها ، ولعل من بين العوامل التي ساعدت على الاستيطان في غربي البحر الأبيض المتوسط حداقة وبراعة التجار الفينيقيين في كسب ود وصداقة

السكان المحليين . أضف الى ذلك تدفق التجار المهاجرين الفنقيين من الوطن الام ، اكتشافهم للمحيط الاطلسي الذي لم يسبقهم اليه غيرهم من الشعوب البحرية الاخرى مثل الاغريق والمصريين (48) .

وعلى العموم فان الغرض من تأسيس مستوطني قادس وليكسوس على ساحل المحيط الاطلسي شمال وجنوب اعمدة هرقل من طرف الفنقيين لم يكن فقط لاغراض اقتصادية تستهدف الحصول على متوجات شبه جزيرة ايبيريا وببلاد المغرب الاقصى المتمثلة في معادن الفضة والقصدير والملح ، والاسماك المجففة . بل كان الهدف من وراء ذلك مواصلة الرحلات الاستكشافية عبر المحيط الاطلسي بدليل أن الفنقيين فيما بعد خلال العهد القرطاجي كانوا قد انطلقو من مدينة قادس عبر سواحل أوربا الغربية للوصول الى جزر كاسيتيريدس (Cassiterides) وكورنوال (Cornwall) جنوب بريطانيا بحثاً عن القصدير والرصاص (49) . كما استغأنوا بليكسوس للوصول الى سواحل غربي افريقيا الاستوائية بقصد الحصول على تبر الذهب ، وجلود الحيوانات المفترسة والعاج والعيدي (50) .

اما الجانب السياسي فان مرحلة الاستيطان الفنقي في غرب البحر الابيض المتوسط تعد متممة للتاريخ الفنقي في شرقه ذلك لأن هذه المستوطنات كانت تابعة للمدن الفنيقية ، وخاصة مدينة صور التي كانت تتلقى الضرائب والهدايا السنوية لمعابدها ، وتعرف هذه المرحلة أيضاً في التاريخ المغربي بالعصر الفنقي الذي يمتد حتى منتصف القرن السادس ق.م عندما تسلمت قرطاجة زماماً المستوطنات الفنيقية في غرب البحر الابيض المتوسط . وقد تميز العصر الفنقي بالتبادل الاقتصادي والحضاري الذي تم بين المستوطنين وسكان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط بصفة عامة ، وسكن منطقة بلاد المغرب بصفة خاصة مما ساعد الفنقيين على الاستقرار في المنطقة .

ومن جهة أخرى فان هذا العصر كذلك تميز بوصول التجار الاغريق في وقت متأخر إلى غربي البحر الابيض المتوسط (750 - 550 ق. م) وبده المنافسة التجارية الفنية الاغريقية في صقلية وجزر البحر التيراني (51) غير أن هذه المنافسة في أول الامر كانت غالباً ما تكتسي طابعاً سلبياً ولصالح الفنيقين الذين توزعت مستوطناتهم ، ومحطاتهم التجارية في شواطئ الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ولم تتحول إلى صراع مسلح إلا في بداية العصر القرطاجي .

3 — المشاكل التاريخية

أ — المصادر الكتابية

ب — المصادر المادية

من بين المشاكل التاريخية العويصة التي تتعرض الدارس للتوعّم الفنيقي الباكر في غربي البحر الابيض المتوسط ، قلة المصادر الكتابية والمادية الفنيقية الأصل ، وهذا مما يجعل المتبع لتاريخ التوسع يعتمد في بحثه على ما كتبه المؤرخون القدماء الاجانب أمثال الكتاب الاغريق والرومان ، وغيرهم .. ومن جهة أخرى فإنه يعتمد أيضاً على مقارنة البقايا المادية التي يعثر عليها علماء الآثار من وقت لآخر في موقع المدن والمستوطنات الفنيقية القديمة في غربي وشرق المتوسط بتلك التي وجدت معاصرة لها في كل من مصر ، وبلاد الاغريق ، ثم فنيقيا الام ، ويدون ذلك لا يتسع للباحث استخلاص التاريخ الحقيقي ليد النشاط الفنيقي في غربي البحر الابيض المتوسط الذي لا يزال التضارب قائماً فيه بين المصادر الكتابية والمادية ، وعلى ذلك فإننا سنقدم فكرة عامة عن هذين المصدرين كل على حدة .

أ— المصادر الكتابية :

تعتمد المصادر الكتابية للتاريخ الفينيقي في غربي المتوسط على ما ذكره الكتاب الأغريق والروماني عن النشاط الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط ، غير أننا قبل أن نستشهد بأقوال هؤلاء المؤرخين نرى أنه من الضروري أن نذكر بعض المآخذ العامة والصعوبات التي تقف حائلاً دون الاعتماد كلياً على الآراء أو المعلومات المقدمة من لدن هؤلاء المؤرخين و يأتي في مقدمة هذه المآخذ :

- 1) اعتماد هؤلاء المؤرخين على أساطير تصور النواحي الدينية ، والاجتماعية والسياسية التي لا تخدم الحقائق التاريخية مباشرة .
- 2) اتخاذ بعض الأحداث التاريخية الأغريقية البارزة مثل دمار طروادة عام 1194 ق . م ، والاحتفال بالألعاب الأولمبية الأولى عام 776 ق . م ثم تأسيس مستوطنة كوماي (Cumae) الأغريقية سنة 750 ق . م نقاط استناد بارزة تقاس عليها الأحداث التاريخية الأخرى ، وخاصة أحداث التوسع والاستيطان الفينيقي في غربي المتوسط وشمال إفريقيا .

غير أن هذه الأحداث يمكن أن تصدق بالنسبة للتقويم الزمني الأغريقي، ولكنها غير صالحة للتقويم الأحداث الزمنية العالمية ، لا سيما بالنسبة لتلك الشعوب التي لم تتحلى بالعالم الأغريقي منذ حوالي القرن الثامن ق . م (52) . كما أنه لا يمكن أن نثق في الكتابات التاريخية الأغريقية التي تتناول نهاية الألف الثاني ق . م ما دمنا نعرف بأن الدين دونوها مؤرخون لم يعاصروا تلك الأحداث ، بل عاشوا في زمن متاخر كثيراً عنها . وأقدم مؤرخ أغريقي كان قد تعرض في كتابته لوصف بلاد المغرب هو هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس ق . م ولذلك فإن القرون الخمسة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد تكاد تكون مجهولة (53) .

3) يُؤخذ على المؤرخين الأغريقي ، والروماني عند تناولهم للتاريخ

الفنيقي في غربى البحر الابيض المتوسط تحيزهم لشعوبهم ضد الوجود السامى في المنطقة ، وذلك نظراً للتنافس الاقتصادي والصراع السياسي الذى كانت تخوض غارة شعوبهم ضد سكان منطقة المغرب . وهذا بدوره يجعلنا ندرك جيداً بأن كتابتهم لا تخلو من المبالغة ، وتحقيق سكان المنطقة لهم وصفتهم بالوحش أحياذاً ، وبالقراصنة آخرى وقد ورد في احدى كتابات سالوت كان أوائل سكان افريقيا الجيتوليون والليبيون ، وهم أقوام خشنون وبرابرة ، يتغذون بلحوم الحيوانات المتواحشة ، أو بأعشاب السهل على نمط القطعان (٥٤) .

٤) عرف عن بعض المؤرخين الاغريق القدماء نقص في الدقة في الحكم استناداً إلى ظواهر الأشياء ، وذلك يمكن أن يكون راجعاً إلى نقص الوسائل التقنية المساعدة التي أصبحت تعتمد عليها المدارس التاريخية الحديثة في استخلاص الحقائق التاريخية ، يضاف إلى ذلك احتمال جهل أو قلة معرفة هؤلاء المؤرخين القدماء باللغات المحلية وفي طبعتها اللغة الفينيقية ، فهيرودت مثلاً كان يجهل اللغة الارامية والاشورية ... الخ لذلك لا عجب أن جاءت بعض معلوماتهم مغلوبة أو ناقصة .

ومن بين المؤرخين القدماء الاجانب الذين تعرضوا في كتابتهم للنشاط الفينيقي الباكر في غربى البحر الابيض المتوسط نذكر المؤرخ الاغريقي تيمائوس (Timaeus) الذي عاش في صقلية حوالي القرن الثالث ق . م فتناول في كتابته تاريخ تأسيس قرطاجة فذكر بأنها سبقت مدينة كوماى الاغريقية بحوالي ٦٠ سنة (٥٥) . وعلى ذلك يكون تأسيس مدينة قرطاجة حوالي سنة ٨١٠ ق . م وقد امتازت كتابة تيمائوس بخلوها من الطابع الاسطوري الذي سيطر على كتابات بعض المؤرخين الاغريق الآخرين الذين تناولوا تاريخ تأسيس قادس وأوتيكا ، ووصفوه في القرن الثاني عشر ق . م . واللحدير بالذكر أن مؤلفات تيمائوس لم تصل اليانا مباشرة بل استشهد بها عدد من المؤرخين التاليين الذين سلمت كتابتهم من الضياع .

وهناك بعض المؤرخين الاغريق استقلوا في الرأي عن تيماءوس فأخرجوا وصول التجار الفنيقيين إلى غرب البحر الابيض المتوسط بالسنوات التالية لحرب طروادة ، وأعطوا بذلك تواريخ معينة لتأسيس مدينة قادس عام 1110 ق . م وكذلك أوتيكا سنة 1101 ق . م غير أنه يمكن أن يكون هناك مصدر أكثر أهمية من ذلك الذي جاء به تيماءوس ، ويتمثل هذا المصدر فيما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) الذي كتب خلال القرن الأول ميلادي مقتبساً عن ميناندروس (Menandros) الافيساوي الذي قيل عنه بأنه استعمل في كتابته التاريخية وثائق فنية (56) . وقد ورد في أحدي هذه الاستشهادات قائمة مرتبة بأسماء ملوك صور الذين حكموا خلال القرنين العاشر والتاسع ق . م ثم يرجع يوسيفوس تأسيس مدينة قرطاجة من طرف اليسا إلى حوالي السنة السابعة من حكم بعماليون لمدينة صور .

واعتماداً على التقويم الزمني الذي أوردته ميناندروس ، وما أشرنا إليه سابقاً من كلام تيماءوس فإن حكم بعماليون لمدينة صور كان في أو آخر القرن التاسع ق . م وبذلك فإن روايته تتفق مع تلك التي ذكرها تيماءوس فيما يخص تأسيس مدينة قرطاجة . وكان يمكن أن تكون كتابة ميناندروس من أهم المصادر التاريخية القديمة في هذا الموضوع لو أنها عرفتنا مؤلفاته أو حتى زمن ظهورها (57) . وفيما يخص تأسيس قرطاجة فإن التاريخ المتعارف عليه حالياً بين مؤرخي العالم هو 814 ق . م على اعتبار أن تاريخ تأسيسها قد سبق الالعاب الاولمبية الأولى بحوالي 38 سنة أي في 814 ق . م

أما عن تاريخ تأسيس المستوطنات الأخرى الباكرة في غرب البحر المتوسط : مثل قادس ، وليكسوس ، وأوتيكا فليس ثمة ما يشير إلى ذلك بالتأكيد . وإنما يعتقد بأنها أُسست عقب نهاية الحروب الطروادية بسنوات قليلة (58) .

وكانت قادس هي أولى المستوطنات ثم تبعتها ليكسوس وأوتيكا .

وهنا يمكن أن نتساءل عن الاسباب التي جعلت الفنiciين يسبقون بتأسيس مدينة قادس في الطرف الجنوبي من اسبانيا قبل غيرها من مستوطنات سواحل بلاد المغرب التي تعتبر قريبة نسبياً الى فنيقيا الام ، وللاجابة عن هذا التساؤل ، يمكن أن نذكر بأن توفر خامات النحاس والفضة والقصدير في المناطق المجاورة لمدينة قادس ، كان الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله التجار الفنiciيون الى الحوض الغربي الابيض المتوسط ، ولذلك فلا غرابة أن تكون مستوطنة قادس هي أبكر المستوطنات الفنiciية في المنطقة ، وأن معظم المستوطنات والمحطات الفنiciة الأخرى التي تلتها في التأسيس على سواحل الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط على الطريق الرابطة بين قادس وفنقيها الام كان الهدف منها في أول الامر تزويد السفن والبحارة الفنiciين بالماء والمأون ، ثم الاتصال بأهالي المنطقة بقصد تأمين فتح أسواق تجارية جديدة لبيع بضائعهم المصنعة لتلك الشعوب التي كانت متخلفة حضارياً ، وبالاعتماد على نظرية البوomerانج (Boomerang) فإن التجار الفنiciين الذين انطلقا من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط بقصد المتاجرة مع سواحله الغربية ، والحصول على خامات المعادن لا بد أن تعود أرباحهم التجارية الى مدنهم التي انطلقا منها لأول مرة (59) .

غير أن هذا الهدف تغير فيما بعد عندما ازدهرت مستوطنة قرطاجة وأصبحت لها تدريجياً الزعامة السياسية على معظم المستوطنات الفنiciة في غرب البحر الابيض المتوسط ولنا أمثلة في التاريخ مشابهة لتأسيس مدينة قادس قبل غيرها من المستوطنات القريبة من فنقيها . وعلى سبيل المثال نذكر سبق تأسيس مستعمرة كوما الاغريقية بسواحل ايطاليا الغربية للمستعمرات الاغريقية الام (60) . وكذلك تأسيس مستعمرات الهند البريطانية قبل غيرها من المستعمرات البريطانية الأخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية وسواحل افريقيا وجبل طارق التي كان يقصد من ورائها

حماية طرق الملاحة البحرية وفتح أسواق جديدة ، ثم السيطرة على الواقع الاستراتيجية .

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن سبق مستوطنة قادس في التأسيس كان مقصوداً لأنها كانت هدفاً في حد ذاتها خاصة إذا ما علمنا مدى احتياج دول شرق المتوسط الخامات المعادن في تلك الفترة الخامسة من تاريخ الإنسانية التي يمكن إلى حد ما أن نقارنها ببداية عصر التهضة الوربية والكتشوفات الجغرافية في مستهل العصور الحديثة .

ب – المصادر المادية

تتمثل المصادر المادية للتاريخ الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط في البقايا الأثرية التي تركها هؤلاء الأقوام في الواقع التي حلووا بها . وقد ترجم الكثير من هذه المصادر المادية التي عثر عليها التنقيون الأثريون في المقابر ، والمعابد ، ومخلفات المنازل إلى تقارير علمية مرفقة بصور ، وخرائط ، وجدائل تقويمية لكل الأشياء التي عثروا عليها وقد لوحظ بأن الفخار يشكل جزءاً كبيراً من هذه البقايا الأثرية الفينيقية . ولا زال التنقيب الأثري في بلاد المغرب لم يجد بعد الاهتمام المقدم ، ولذلك لا نستطيع أن نحكم على ما ورد في هذه التقارير العلمية أو نعتبرها حقيقة مسلماً بها ما دمنا نعرف بأنها ليست الأخيرة ، وبأن قيمتها التاريخية ستتغير لمجرد الحصول على نتائج أثرية مغايرة لها (61) .

ويمكن أن نذكر باختصار بأنه ليست هناك شواهد أثرية فنية أكتشفت حتى الآن في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تشير إلى الوجود الفينيقي قبل عام 750 ق . م فيما عدا كتابة حجر نورا (Nora) التي عثر عليها في جزيرة سردينا ، التي نسب العالم البرايت (Albright) تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد . وبذلك فإنها ستكون معاصرة لمدينة قرطاجة (62) .

أما أقدم البقايا الأثرية في بلاد المغرب فانها تمثل فيما عثر عليه المتنب
الأثري الفرنسي سينتاس (P. Cintas) أخيراً في معبد الآلهة تانيت
بسلامبو (Salambo) في موقع مدينة قرطاجة القديمة والذي يتضمن
أجاجين (Urns) فخارية كانت تحوي عظام أطفال صغار قدموا قرابين
بشرية لهذه الآلهة . وبمرور الزمن وازدياد بقايا الجشت المضحى بها ، فإن
المعبد أصبح يتكون من ثلاث طبقات متراكمة فوق بعضها تختلف بقايا
كل طبقة منها عن التي تليها ، وأصبحت هذه الطبقات تعرف بـ تانيت
الاولى والثانية والثالثة (63) . وبمقارنة الادوات الأثرية الفخارية التي
عثر عليها في الطبقات الثلاثة مع تلك المماثلة لها في كل من فنيقيا الام
وببلاد الاغريق ، ومصر أعطت توارييخ تقريرية لهذه الطبقات الثلاثة
(64) . ويعتبر ما عثر عليه من فخار في طبقة تانيت الاولى من أهم
وأقدم المصادر المادية لأنها تحتوي على بقايا فخار مستورد اغريقي الاصل ،
وتمائم وأختام مصرية يعتقد سينتاس بأنها معاصرة أو قريبة من بداية الوجود
الفنسي في مدينة قرطاجة (65) .

وتتلخص قيمة اللقى والمستوردات الأجنبية التي عثر عليها في موقع
المغرب في أنها تساعده الباحث في تثبيت وتحديد التاريخ المغربي ، وخاصة
للقاء الاوضواء على مشاكل بدايات الاستيطان الفنسي . وحيثما نفتقر إلى
هذه العناصر المساعدة يسود الظلام من جديد وقد عثر أيضاً سينتاس في كل
من قرطاجة وأوتيكا على نوعين من القبور تعود بقاياها الفخارية إلى
القرن السابع ق . م وقد لاحظ بأن هذا الفخار كانت تسيطر عليه بعض
اللمسات المحلية مما يدل على تأثر الفنانيين بالوسط المحلي وبدء استقلالهم
الصناعي عن فنيقيا الام (66) .

وخلالصة القول يمكن أن نقول بأن هناك عدم تطابق بين المصادر
الكتابية والمادية في إثبات بدء النشاط الفنسي في غرب البحر الابيض

وأن المصادر المادية لا زالت لم يتم تحريرها بعد إلى درجة تسمح بالقطع في
انعدام مساحتها . وهي الان عاجزة عن تغطية فترة لا تقل عن ثلاثة
قرؤن متدة ما بين القرن الثاني عشر ق . م والقرن التاسع ق . م كانت
المصادر الكتابية قد اعتمدت كبداية لتأسيس المستوطنات الفينيقية الباكرة
في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

الفَصْلُ الرَّابعُ

الْمُسْتَوْطِنَاتُ الْفَنِيقِيَّةُ

- أ — المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط .
 - شبه جزيرة إيبيريا — جزر الباليدار — سردينيا — صقلية .
- ب — المستوطنات في المغرب القديم (1).
 - 1 — المستوطنات الباكرة :
 - ليكسوس — أوتيكا .
 - 2 — المحطات التجارية :
 - شرق قرطاجة — غرب قرطاجة .

المستوطنات الفنيقية

بعد الإشارة إلى مرحلتي الارتباد والاستيطان الباكرتين ، وشرح العوامل الاقتصادية والسياسية التي دفعت الفنقيين إلى الهجرة والاستيطان في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، يحدُّر بما في هذا الفصل أن شخص الكلام حول المستوطنات الفنيقية الهامة في تلك المنطقة بجزئيها الشمالي والجنوبي ، وستجنب اتباع التسلسل الزمني في هذا العرض وذلك لعدم توفر معلومات وافية ودقيقة حول تاريخ نشوء المستوطنات الفنيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط ، وغموض علاقتها هذه المستوطنات بعضها ببعض .

أ - المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط

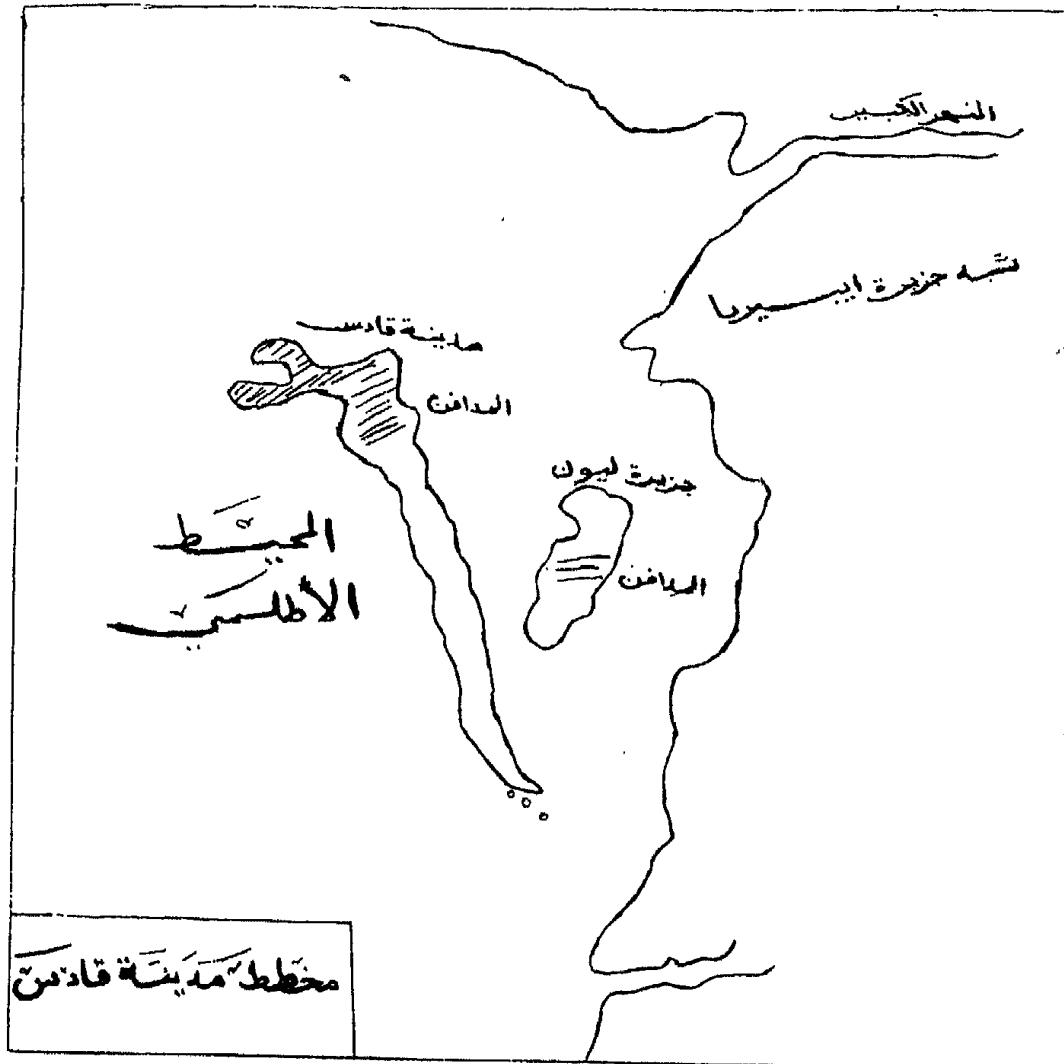
شبه جزيرة إيبيريا :

تعد مستوطنة قادس في شبه جزيرة إيبيريا من بين المستوطنات الفنيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وقد أنسسها التجار الفنقيون لأغراض اقتصادية والحصول على الخامات المعادن كالفضة والقصدير ، والنحاس واستبدالها بالمواد المصنعة التي كانوا يجلبونها من شرق البحر الأبيض المتوسط . هذه العملية التجارية قدم المؤرخ ديودور الصقلي صورة عنها وعن ثروات إسبانيا من المواد الخام : « تحتوي منطقة إيبيريا على كميات وافرة من مناجم الفضة التي كان السكان المحليون يجهلون استعمالها ، ولكن التجار الفنقيين الذين حلوا بالمنطقة كانوا يحصلون

عليها مقابل كميات البضائع القليلة التي كانوا يجلبونها معهم من بلاد الأغريق وأسيا ، ومن بعض الشعوب الأخرى ، وقد حصل الفنقيون من وراء ذلك على ثروة كبيرة ... كما أن ممارستهم لتجارة المعادن لمدة طويلة زادتهم قدرة وبالتالي سمح لهم بتأسيس عدد من المستوطنات سواء في صقلية والبحر القربي منها أو في ليبيا وكذلك إيبيريا » . (انظر الشكل رقم 4 ، ص 80).

أما عن التاريخ الحقيقي لتأسيس مدينة قادس فان المصادر الكتابية والمادية لا تتفق على زمن التأسيس . فبينما تقف المصادر المادية عاجزة وفق الوضع الراهن للبحث الأثري عن إثبات وجود أي مستوطنة فنيقية في غربي المتوسط يسبق تأسيسها القرن الثامن ق. م. نرى أن المصادر الكتابية تحاول ارجاع تاريخ تأسيس مستوطنة قادس مثل غيرها من المستوطنات الفنيقية الباكرة إلى حوالي القرن الثاني عشر ق. م. من ذلك أن المؤرخ فيليوس باتركلوس (Velleius-Patervulus) يعيد تأسيس مدينتي قادس وأوتيكا إلى زمن عودة الهرقلين (Heacildes) إلى البيلوبونيز الذي يورخ له بحوالي 80 سنة بعد تهدم طروادة (3) . وقد بنيت قادس على جزيرة محاذية للساحل ، وهي في ذلك شبيهة بمدينة صور في شرق البحر الأبيض المتوسط . كما أنها كانت أيضاً تتمتع بنظام المباني العالى به لدى الفنقيين ، وقد التحتمت قادس مع اليابسة فيما بعد من جراء رسويات النهر الكبير الذي يصب بالقرب منها (4) . (انظر الشكل رقم 5).

ويحدد المؤرخ بومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) الناحية الطبوغرافية لمستوطنة قادس فيذكر « بأن جزيرة قادس كانت منفصلة عن اليابسة بذراع بحري صغير يشبه النهر ، وأن ضفتها المواجهة لمياه المحيط قد ارتفعت مكونة في وسطها انحدار ينتهي برأسين بنيت على أحدهما مدينة تحمل اسم نفس الجزيرة ، أما الرأس الثاني فقد وجد عليه معبد للإله



الشكل رقم — 5

هرقل المصري» (5).

وقد زالت معالم قادس الأثرية القديمة ولم يبق منها إلا بعض المقابر المنتشرة هنا وهناك في وسط شبه الجزيرة ، وعلى أطرافها ، وغالباً ما تعود هذه المقابر إلى القرنين السابع والسادس ق. م. وما بعدهما (6). ويعتقد كثير من المؤرخين بأن مدينة قادس كانت قد حلّت محلًّا مدينة ترشيش القديمة التي قيل عنها في للتوراة بأن سفن ترشيش كانت تحمل للملك سليمان كل ثلاثة سنوات الذهب والفضة والعاج والقردة (7). ومن دراستنا للعلاقات الاقتصادية والسياسية التي كانت بين سليمان وحيرام ملك صور خلال القرن العاشر ق. م. ندرك بأن ترشيش المشار إليها كانت تحت إشراف البحارة الفنقيين ، وأن المعادن التي ذكرت كان يُؤتى بها من قادس التي حلّت محلًّا ترشيش منذ القرن الثاني عشر ق. م.

وقد أشار المؤرخ بلين (Pline) في كتابه التاريخ الطبيعي إلى هذا الموضوع بقوله «أن معنى قادس مكان حصين أو قلعة ، وأنها بنيت في مكان ترشيش القديمة ... ثم يضيف بأن ملك ترشيش أرجانثونيوس (Arganthonios) كان قد سكن مدينة قادس» (8). ونفس الشيء تشير إليه الكتابات التاريخية الحديثة حيث تذكر بأن اسم قادس سامي ، وأنها مأخوذة من الكلمة قادر (Gadir) التي تدل على القوة والمناعة (9).

إلى جانب قادس كانت هناك بعض المدن الفنيقية الأخرى موزعة في جنوب شبه جزيرة إيبيريا ذكر منها: مالقا (Malga) التي كانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتليحها وقد قيل بأن اسمها هي الأخرى سامي ، وهناك أبديرا (Abdera) ، وسيكسي (Sexi) وقد أسس القائد القرطاجي صدر بعـل سنة 227 ق. م. مدينة قرطاجة في إسبانيا ، ثم أطلق الرومان عليها فيما بعد اسم قرطاجة الجديدة (Cartago-Nova) حتى يفرق في الاسم بينها وبين قرطاجة في بلاد المغرب ، وكان القائد سيبيون الذي سيعـرف فيما بعد بسيبيون الأفريقي قد استولى على قرطاجة الجديدة في إسبانيا سنة

209 ق.م. ويعتبر استيلاده هذا إيدانًاً بزوال النفوذ القرطاجي في شبه جزيرة إيبيريا.

وفي اعتقادنا فإن الخامات المعدنية والموقع الاستراتيجي لها اللدان جعلاً منطقة شبه جزيرة إيبيريا محطة أنظار كل من الفينيقيين والإغريق، والرومان. وأن الصراع القرطاجي الروماني لم يكن صراعاً سياسياً بقدر ما كان ذا طابع اقتصادي.

جزر البالياز : من المحتمل أن يكون التجار الفينيقيون قد نزلوا بجزر البالياز خلال رحلاتهم الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ولكن استيطانهم الحقيقي بجزيرة إبليزا (Ibiza) يعود إلى حوالي سنة 654 ق. م. أو كما يحدده بعض المؤرخين بحوالي 160 سنة بعد تأسيس مدينة قرطاجنة في بلاد المغرب (10). وكان الفينيقيون الذين أسسوا مستوطنة إبليزا قدموها من مدينة قرطاجنة التي آلت لها زعامة المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة. ومن المرجح أن الهدف من تأسيس مستوطنة إبليزا في جنوب البالياز كان عسكرياً بالدرجة الأولى، إذ أنها كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للاسطول الفينيقي الذي كان ينطلق منها إلى الشواطئ التوميدية جنوباً والإيرية غرباً.

ومن جهة أخرى كانت إبليزا تقع على الطريق الرابطة بين المستوطنات الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا وجزيرة سردينيا (11). وقد عثر في جزيرة إبليزا على أحواض قدية أثرية يحتمل بأنها كانت خصصة لتجفيف الأساك والحصول على صباغة الارجون. وبالقرب من الأحواض المشار إليها عثر أيضاً على معبد للإلهة تانيت يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث ق.م. (12) ولم يستول الفينيقيون على كافة جزر البالياز بل احتفظوا لأنفسهم بمراكيز تجارية وبحرية في إبليزا كما ذكرنا ثم عاشوا مع السكان المحليين الذين هم من أصل إيبيري. وتشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن اسم مينورقة التي

هي إحدى بحير البحار من أصل سامي ، وهو تحريف القائد القرطاجي ماغون (Magon) (13).

وعلى ذلك يمكن أن نقول بأن هدف الفينيقيين من وراء الاستيطان في إسبانيا بالإضافة إلى الحانب الاقتصادي كان استراتيجياً خاصة عندما أحسوا برغبة التوسيع التجاري تحدو المدن الأفريقية جنوب صقلية ، للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية في شبه جزيرة إيبيريا التي كانت تمثل مصدراً لخامات المعادن الثمينة .

ساردينينا : ثبت من الدراسات الأثرية التي أجريت في جزيرة ساردينينا بأن المستوطنات الفينيقية في هذه الجزيرة كانت قد انتشرت في الركن الجنوبي منها. وكانت أهم مدنها الفينيقية نورا (Nora) التي بنيت على شبه جزيرة ، وتحتاج بأهم ميناء في الجزيرة على الإطلاق وقد عثر المنقبون الأثريون في مدينة نورا على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فينيقية ثبت بعد ذلك ووزع كتابتها بأنها تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وهي بذلك معاصرة لبناء مدينة قرطاجة (14). بالإضافة إلى نورا هناك مدن فينيقية أخرى موزعة على الأطراف الجنوبيّة الغربية بجزيرة ساردينينا تذكر منها على سبيل المثال : سولكيس (Sulkis) التي كانت تقع على طرف جزيرة سان أنتيوخو (San-Antiocho) الحالية ، وكذلك كاراليس (Caralis) التي عثر فيها على قبور تعود إلى القرن الخامس ق. م. (15).

أما مدينة ثاروس فأن التنقيبات الأثرية لازالت متواصلة بها ، وهي مثل غيرها من المدن التي أشرنا إليها في جزيرة ساردينينا غنية بالبقايا الأثرية الفينيقية (16).

ويرى بعض المؤرخين بأن نزول الفينيقيين في جزيرة ساردينينا يعود إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م. وقد وقع ذلك عندما ارغمت زوابع

بحرية التجار الفينيقيين على التزول في شواطئ جزيرة ساردينيا الجنوبيّة الغربيّة (17). غير أنّ هذا الرأي الأخير لا يتفق مع ما توصلت إليه الاكتشافات الأثريّة . وليس هناك في الكتابات التاريخيّة ما يشير إلى التواجد الفينيقي في جنوب إيطاليا . غير أنّ الفينيقيين كانوا قد ربطوا علاقتهم التجاريّة مع شعوب إيطاليا ابتداءً من القرن الثامن ق. م.

صقلية : كانت جزيرة صقلية في طبیعة الواقع الاستراتيجية التي لفتت انتباه الشعوب الشرقيّة ، فتدفق إليها التجار الفينيقيون والإغريق في هجرات متتالية ، واستقروا على كامل سواحلها الشرقيّة والغربيّة ، ثم دفعوا بالسكان المحليّين إلى المناطق الداخلية يفلحون الأراضي ويزرعونها.

وبحسب توكيديdes (Thucydides) « فإنّ الفينيقيين كانوا قد اجتلو مراكز متقدمة في البحر حول كافة أرجاء جزيرة صقلية كذلك احتلوا الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشواطئ لكي يمارسوا التجارة مع الصقل (Sekelos) (سكنان جزيرة صقلية الأصلين) . ولكن عندما جاء الإغريق عن طريق البحر بأعداد كبيرة تخلّى الفينيقيون عن معظم هذه الواقع الشرقي وتجمعوا في غرب الجزيرة، في كل من موتيا ، وسوليس ، وبانورموس قرب الاليمن (Elymes) لأنّ هؤلاء (الفينيقيين) تمسكوا بتحالفهم مع الاليمنيين من جهة ، ولأنّ المسافة من هناك إلى قرطاجة تكون أقصر مما هي عليه من الجزء الشرقي » (18). وهناك من المؤرخين من يعتقدون على رأي توكيديdes مستدلاً على ذلك بالتحديّات الجغرافيّة الحديثة للواقع الأثريّة الفينيقيّة والإغريقيّة التي عبر عليها في جزيرة صقلية ، والتي تقسّم جزيرة صقلية إلى قسمين أساسين :

- أ) شرقي : ومعظم بقاياه الأثريّة العائدة إلى الفترة الباكرة ذات طابع أغريقي .
- ب) غربي : ومعظم بقاياه الأثريّة يسود فيها الطابع الفينيقي (19).

ويعتقد هؤلاء المؤرخون بأن غرض الفينيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية كان استراتيجياً أكثر منه تجاريًّا . ولذلك ركزوا استيطانهم في الناحية الغربية من جزيرة صقلية التي تعزز جانب أوتيكا وقرطاجة في الطرف الآخر من بلاد المغرب وإيطاليا .

وكذلك السيطرة على المضيق الذي يربط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي (20) . بينما كانت أهداف الاغريق في أول الأمر في صقلية وإيطاليا تغلب عليها فكرة استغلال الأرض ، ولذلك نراهم يصطدمون بالسكان الأصليين ويغتصبون أراضيهم الصالحة للزراعة ويكونون منها مستعمرات إسكان زراعية مستقلة عن بلاد الاغريق الأم . وعلى العكس من ذلك كان الفينيقيون يسلكون سياسة التحالف مع السكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة .

ومن بين المدن الفينيقية الهامة في جزيرة صقلية مدينة موتيا (Motya) التي بنيت على جزيرة في خليج محمي يقابل رأس بونه في بلاد المغرب (21) . وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على موقع موتيا حديثاً بأن الفينيقيين كانوا قد حلوا بها منذ القرن الثامن ق. م . وقد عاشوا في أول الأمر مع السكان المحليين من الصقلتين وجذوهم . هناك كما تدل هذه البقايا الأثرية بخاصة الفخارية منها على أن الفينيقيين الذين أسسوا موتيا لم يكونوا قد قدموا إليها من مدينة قرطاجة . بل يغلب على الظن بأنهم جاؤوا من شمال سوريا وذلك للتشابه بين فخار موتيا والفخار الذي اكتشف في مدينة الميناء القديمة (على مصب العاصي) التي سبق تأسيسها متنصف القرن الثامن ق. م . (22) .

ولم تضعف مكانة موتيا إلا بعد الفربات التي تلقتها من الإغريق الذين قادهم الطاغية دونيسيوس في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد (23) . وفي حوالي سنة 398 ق. م . اتخذ الفينيقيون ليليبياوم (Lilybaeum) عاصمة لهم بدلاً من موتيا . وكانت ليليبياوم (مرسالا حالياً) واقعة على ساحل

صقلية الغربي القريب من جزيرة موتيا (24). كما أنها من جهة أخرى كانت تقع على الطريق الرابط بين صقلية وقرطاجة ولذلك نرى أن أن الغزاة الأغريق والرومان الذين أبحروا إلى بلاد المغرب كانوا قد سلكوا هذا الطريق .

وكانت بانورموس (Panormus) هي الأخرى مدينة فنيقية هامة لأنها كانت تتحكم في خليج هام ، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها . ولم يؤسس الفينيقيون مدينة سولكيس (Sulcis) إلا في حوالي القرن السادس قبل الميلاد ، وكان الغرض من تأسيسها الوقف في وجه التوسع الأغريقي نحو غرب صقلية (25).

هذا وقد كانت المدن الفنيقية التي أشرنا إليها في صقلية أكثر تقدماً من مثيلاتها في بلاد المغرب . وذلك لكثر احتكار الفينيقيين في صقلية بكل من الأغريق والتروسكيين الذين كانوا على غاية كبيرة من التقدم الحضاري ، من ذلك مثلاً : أن المدن الفنيقية في صقلية كانت بدأت تمارس سلوك العملة منذ القرن السادس ق. م. بينما بقىت قرطاجة تتبع أسلوب المقايسة في عملياتها التجارية مع سكان بلاد المغرب حتى القرن الثالث ق. م.

ومهما يكن فإن معلوماتنا عن أسبقيّة الوجود الفنقي في جزيرة صقلية والعلاقات الباكرة بينهم وبين الأغريق لا زالت غامضة ، وما زالت المعلومات حتى الآن تعتمد بالدرجة الأولى على المصادر الكتابية الكلاسيكية ، وخصوصاً في الفترة الباكرة .

مالطة : أما بقصد جزيرة مالطة التي يحتمل أن يكون اسمها سامي بمعنى (ملط : أي هرب) ، فقد وجدت فيها قبور فنيقية يحتمل أن يعود تاريخها إلى القرنين التاسع والثامن ق. م. كما وجدت بها مقبرة بونية أيضاً يعود تاريخها إلى القرن الخامس ق. م. وما بعده (26). وحسب ديدور الصقلي (Diodore de Sicile) فإن سكان جزيرة مالطة كانوا من أصل

فنيقي (27). وقد اعتمد هذا المؤرخ في ابداع رأيه على بقاء اللغة البوئية متداولة بين سكان الجزيرة في عهده .

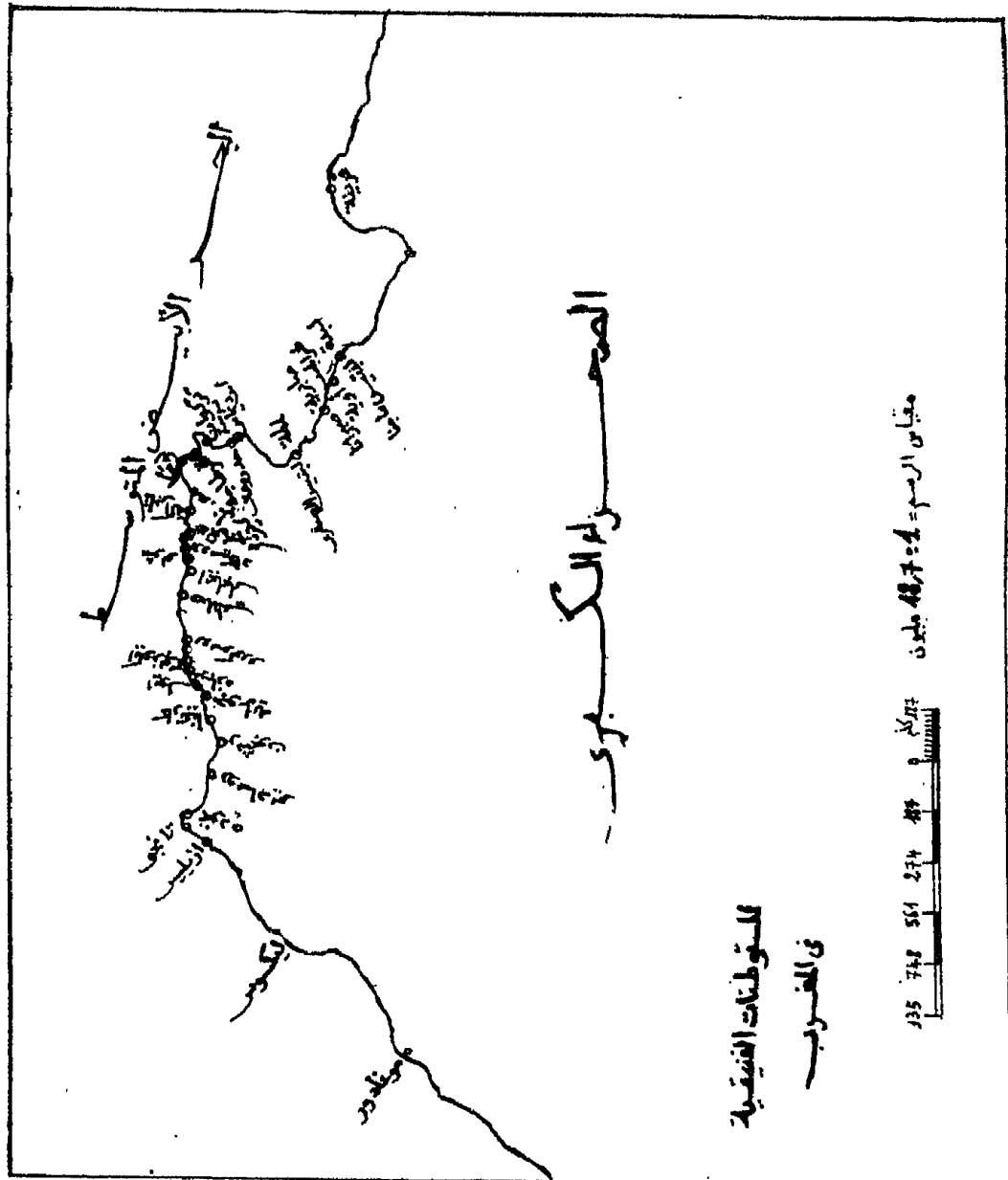
ب - المستوطنات في المغرب القديم

1 - المستوطنات الباكرة :

ليكسوس : كانت مدينة ليكسوس (Lixus) من أبرز المستوطنات الفنيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي . وتشير الكتابات التاريخية إلى أن تأسيس هذه المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق. م. وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفنقيين الذين قدموا من شرق المتوسط ، وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس وسابقة لمدينة أوتيكا (28). وكان الغرض الذي أسست من أجله ليكسوس استراتيجياً وتجارياً ، ذلك لأنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلسي ، وقد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق. م. فحصلوا منها على المترجمين الذين كانوا يساعدونهم في فهم لهجات سكان المناطق التي تقع إلى الجنوب منها . وقد أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكوس (نهر درعا حالياً) (29). الذي يصب في المحيط الأطلسي مكوناً خليجاً صالحًا للملاحة .

ويقوم موقع المدينة حالياً على تل مرتفع يبعد حوالي ٤ كيلومتر شمال مدينة العرائس وقد عرفت مدينة ليكسوس في الماضي باسم مدينة تشميش (Themisch) أي مدينة الشمس (30).

ويذكر بليني بأن مستوطنة ليكسوس يجب أن تكون أكبر من قادس وأوتيكا . ويستدل على ذلك بأن معبد الإله هرقل (ملقارت) في ليكسوس أكبر من مماثله في قادس (31) . (أنظر الشكل رقم 6 ص 92).



الشكل رقم - 6

ومن جهة أخرى بدأت التنقيبات الأثرية في بقايا مدينة ليكسوس منذ حوالي سنة 1845 على يد البعثة الالمانية التي كان يقودها العالم الأثري بارث Barth واستطاع هذا العالم أن يحدد معالم المدينة القديمة . وفي سنة 1925 تولت التنقيب في نفس المكان المشار إليه ، بعثة اسبانية كان مركزها مدينة طوان ، ولم تصل إلى نتيجة إلا بعد سنة 1948 عندما تولى الاشراف على التنقيب في مدينة ليكسوس العالم الأثري الإسباني Tardivel الذي استعمل الطرق العلمية الحديثة في التنقيب ثم تعمق في الحفر حتى بلغ الأرض العذراء ، ونتج عن أعماله ظهور عدة طبقات متراكمة بقايا الطبقة السفلية منها تتضمن كسرًا فخارية مغطاة بلون أحمر لامع مصقول مما يؤكد قيام محطة فنية دائمة يعود تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والحادي عشر قبل الميلاد ، وهناك شبه بين فخار ليكسوس والفخار الذي عثر عليه في قبور مدينة قرطاجة (32). وقد وجد في الناحية الغربية من مدينة ليكسوس أحواض اصطناعية يعتقد بأنها كانت تستعمل لاستخراج الأملاح من مياه المحيط (33).

وعلى ضوء الدراسات المقارنة يمكن أن نقول بحق بأن مستوطنة ليكسوس كانت من أهم المستوطنات الفينيقية . وكانت علاقة ليكسوس بقادس أحسن بكثير من علاقتها بقرطاجة في بلاد المغرب ، ويع垦 أن يكون ذلك راجعاً إلى قصر المسافة التي تربط بينهما ، وإلى طبيعتهما البحرية على المحيط الأطلسي (34).

أوتيكا : يذكر المؤرخ سترابون Strabon بأن التجار الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدنًا على شواطئ البحر الخارجي ، وأيضاً بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة (35). ويشير في مكان آخر إلى أن الفينيقيين كانوا قد وضعوا يدهم على أفضل الأماكن في شبه جزيرة إيبيريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس (36). (أنظر الشكل رقم 6 ، ص 92).

ندرك من هذين النصين القصصيين أن التجار الفنيقيين حلوا ببلاد المغرب منذ القرن الثاني عشر ق. م. وأن مستوطنة أوتيكا Utica هي الأخرى كانت قد أُسست منذ هذه الفترة . وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار موقع أوتيكا في وسط سهول شمال تونس التي تعتبر من أجواء الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة ، وقد ورد أيضاً في بعض الكتابات التاريخية بأن تأسيس أوتيكا يسبق نشأة قرطاجة بحوالي 287 سنة . مما يجعلنا نستنتج استناداً إلى هذه المعلومات بأن تأسيس أوتيكا تم في حوالي عام 1101ق.م (37)

أما الغرض الذي أُنشئت من أجله مستوطنة أوتيكا فقد كان اقتصادياً، ونظرأً لموقعها في منتصف الطريق بين صور وقادس (أي ترشيش) فقد ساعدت في بادئ الأمر على ربط الصلات التجارية بين فنيقيا والأم ومستوطنة قادس التي اشتهرت بعنادها المعدني علاوة على ذلك كانت أوتيكا تمثل محطة تجارية يلتقي فيها سكان المغرب بالتجار الفنيقيين لتأمين المصالح المتبادلة ، وعندما كثُر عدد التجار المهاجرين الذين استقرروا في أوتيكا اقلبت هذه المحطة إلى مستوطنة اسكان وقد فسر بعض المؤرخين هدف الفениقيين من وراء الاستيطان في أوتيكا أنه كان بدافع الحصول على كميات القمح التي تنتجه سهول شمال تونس .

ويعمل هؤلاء المؤرخون تفسيرهم هذا بالاتفاقية الاقتصادية التي تمت بين أحيرام ملك صور ، وسليان الحكيم ملك العبرانيين خلال القرن العاشر ق. م. حيث تلقى فيها الصوريون كميات من الأغذية مقابل الأخشاب والخبرات الفنية التي قدموها للعبرانيين (38).

أما المصادر المادية فإنها تشير إلى أن أوتيكا كانت قد أُسست على مرتفع من الأرض بالقرب من مصب نهر مجردة الذي يغطي بطيئه موقعها حالياً . وهي الآن بعيدة عن البحر بحوالي 10 كيلومترات . أما المسافة التي تفصلها عن مدينة قرطاجة فتقدر بحوالي 15 ميلاً (39). وقد عثر في أوتيكا على نوعين من القبور المبنية بالحجارة تعود بقايا أقدمها إلى القرن

الثامن ق. م. بينما لا تتجاوز بقايا المجموعة الثانية القرنين السابع والسادس ق. م. وما بعدها (40). ومن بين الأشياء التي عثر عليها في حفر عميقه كانت تحت قبور أوتيكا بقايا فخارية بسيطة الصنع يغلب عليها الطابع المحلي . مما أدى بالباحثين الأثريين إلى استنتاج قدمها عن تلك التي عثر عليها في قبور قرطاجة . وتألف البقايا المادية المكتشفة في أوتيكا والتي عثر عليها في قبور يتراوح عهدها بين القرن الثامن والرابع ق.م. من أواني فخارية متعددة الألوان ، وتحرات وجعلات ، وتماثيل قدمت كهدايا نذرية (41).

وعلى أية حال فالنتيجة التي نستخلصها من دراستنا للبقايا المادية في مدينة أوتيكا تشير إلى أن هناك ثغرة بين معطيات المصادر المادية ، ومعطيات المصادر الكتابية ، وهذه الثغرة لا زالت تنتظر الاستكمال حتى يتم الاتفاق حول تأسيس هذه المدينة ، ولعل نتائج الأبحاث الأثرية المتواصلة في كل من أوتيكا وقرطاجة ستغطي هذه الفترة في المستقبل .

أما علاقه أوتيكا بقرطاجة فقد كانت على ما يبدو في أول الأمر علاقة ود وثام . وكان لكل مدينة منها كيانها الخاص . ويمكننا أن نستنتج ذلك من المعاهدة الأولى التي عقدتها قرطاجة مع روما حوالي سنة 508ق.م حيث أن اسم أوتيكا لم يشر إليه ضمن هذه المعاهدة بينما المعاهدة الثانية التي أبرمت سنة 348 ق. م. بين نفس الدولتين المشار إليها تضمنت اسم أوتيكا إلى جانب قرطاجة . وأيضاً ذكر اسم أوتيكا في المعاهدة التي عقدها هنيبيل باسم قرطاجة عندما كان في إيطاليا سنة 215 ق. م. مع فيليب الخامس ملك مقدونيا .

والإشارة إلى اسم أوتيكا بجانب قرطاجة خلال المعاهدتين الأخيرتين يجعلنا نعتقد بأن أوتيكا كانت مرتبطة بقرطاجة (42). وقد حاولت أوتيكا أن تستغل ضعف قرطاجة خلال ثورة الجنود المرتزقة سنة 240 ق. م. وتخرج من صفها ، إلا أن هملكار برقة (Hamilcar-Barca) الذي تسلم

مقاتلـيد الأمور للقضاء على هذه الثورة استطاع أن يسترد أوتيكا إلى صـفـ قـرـطـاجـةـ بـعـدـ القـضـاءـ عـلـىـ ثـورـةـ الجـنـوـدـ المـرـتـزـقـةـ عـامـ 237ـ قـ.ـ مـ.ـ وـقـدـ بـقـيـ التـنـافـسـ الدـاخـلـيـ سـائـدـآـ بـيـنـ قـرـطـاجـةـ وـأـوتـيـكاـ حـتـىـ أـتـيـحـتـ الفـرـصـةـ منـ جـدـيـدـ هـذـهـ الـأـخـيـرـةـ لـالـانـفـصـالـ عـنـ جـارـتـهاـ قـرـطـاجـةـ خـالـلـ الـحـربـ الـبـوـنـيةـ الثـالـثـةـ 146ـ قـ.ـ مـ.ـ عـنـدـمـاـ أـجـسـتـ بـرـجـحـانـ الـكـفـةـ لـصـالـحـ الرـوـمـانـ.

انضممت أوتيكا إلى الرومان وفتحت أبوابها للجيش الروماني بقيادة سبيرون أميليان الذي عسكر فيها ، وطلب من قرطاجة أن تنقاد لشروطه حتى تبرهن عن نواليها السلمية (43). وبعد تدمير قرطاجة أصبحت أوتيكا المركز الإداري والسياسي لإفريقيا الرومانية كاعتراف لها بالحمليل من طرف مجلس الشيوخ الروماني . كما نالت حق حرية الملاحة مثل بقية المحطات الفنية الأخرى التي تخلىت عن مساعدة قرطاجة أثناء حربها الأخيرة لروما (44).

2 - المحطات التجارية :

لكي تكون دراستنا ملحة لطبيعة التوسيع الفنقي في بلاد المغرب القديم وبناء المستوطنات الدائمة، لا بد أن نوجه عنايتنا بالمثل إلى محطات الإستراحة وأسواق التجارة التي كان لها دور فعال في تقوية العلاقات الاقتصادية والاجتماعية سواء بين الفنقيين فيما بينهم ، أو بين هؤلاء والسكان المحليين. وقد كانت محطات الإستراحة وأسواق التجارة الفنقية موزعة باحكام على سواحل بلاد المغرب . وتشير الكتابات التاريخية إلى أن عدد هذه المحطات التجارية كان قد بلغ حوالي 300 محطة تجارية ، وحسب سير ابن الذي يذكر بالاستناد إلى ايراتوستين (Eratos Thene) أقام الفنقيون حوالي 300 محطة في البحر الخارجي (45).

بل، ستصنفها إلى فئتين ، متعددين في ذلك مدينة قرطاجة مركزاً فاصلاً : وعلى ذلك يكون لدينا المحطات الواقعة شرق قرطاجة ، يقابلها في الطرف الآخر المحطات المنتشرة في الجهة الغربية منها .

شرقي قرطاجة :

شملت المحطات التجارية الفينيقية كامل سواحل بلاد المغرب الشرقية ابتداء من الحدود الشرقية لخليج السرت حيث كانت توجد مستعمرة قرينة (Cyranica) الإغريقية وإلى مدينة قرطاجة غرباً

وبالاستناد إلى المؤرخ سالوست (Salust) « كان بعض الفينيقيين قد هاجروا إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بداعي تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفениقي ، والبعض الآخر كانت له رغبة السيطرة والتوسيع . أما الفئة الثالثة فكان همها الوحيد هو الريع التجاري والحصول على المواد الخام . ومن أجل ذلك كله أسسوا على شواطئ البحر كل من هيون (Hippo) ، وسوسة (Hadrumet) ولبدة (Liptis) ومدنآ أخرى . وقد نمت هذه المستوطنات بسرعة حتى بلغت قمة الازدهار مما جعلها تستمر في دفع المساعدات الرمزية للمدينة الأم » (46). غير أن هذا النص يسوده بعض الغموض خاصة في ذكر أسماء مدينـيـة لبدة (Liptis-Magna) وهـيـبون (Hippo-Rilsius) وذلك لوجود مدينتين آخرـيـن تتفقان معهما في الاسم هـاـ مـديـنـتاـ لـطـةـ (Liptis-Minor) وبـتـرـتـ (Hippo-Zarit) كذلك نجد هذا النص خالياً من أي تحديد زمني . (أنظر الشـكـلـ رقم 6 ، ص 92 .)

وبالمقارنة مع نتائج الأبحاث الأثرية التي أجريت على أطلال هذه المحطات القديمة والتي يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن السادس ق. م. فإنه يحتمل بأن الفينيقيين كانوا قد حلوا بالمنطقة منذ ارتياحهم اليـاـكـرـ ، ولكنهم

لم يستقروا فيها أو تكون لهم محطات ثابتة إلا في بداية العهد القرطاجي عندما أحسوا بخطر التوسيع الاغريقي المتمركز في قرية بليبيا والزاحف نحو الغرب (47). وكانت أهم المحطات القرطاجية في خليج السرت هي : مدينة لبدة التي كانت بمثابة المركز الداعي والإداري لمحطات خليج السرت القريبة منها ، وتدل البقايا الأثرية التي اكتشفت في لبدة على أنها تابعت ازدهارها حتى العهد الروماني وكانت لبدة تدفع الضرائب إلى مدينة قرطاجة كبقية المحطات الأخرى القريبة منها ، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن قرطاجة كانت خلال القرن الثاني ق. م. قد رفعت ضرائبها على المحطات التجارية الواقعة شرقها بما فيها لبدة إلى حوالي وزنتين (Talents) في اليوم (48).

أما بالنسبة لمحطتي طرابلس (Oea) وصبراته (Sabratha) فقد كانتا من بين المراكز التي تمثل بحق النشاط التجاري القرطاجي ، بحيث كانت تلتقي عند هاتين المدينتين الطرق التجارية التي تشق الصحراء الكبرى وترتبط البحر الأبيض المتوسط ببلاد السودان ، وأعلى نهر النيجر . وقد ورد بأن أحد القرطاجيين واسمه ماغون (Magon) كان قد قطع هذا الطريق الصحراوي ثلاث مرات دون أن يتزود بالماء . مما يدل على أن جفاف الصحراء كان مغايراً لما هو عليه الآن ، بل كانت تتخاللها ينابيع ماء عبر هذا الطريق الصحراوي (49). ومنذ القرن الخامس ق. م. بدأ القرطاجيون يتصلون مباشرة بمحاصد المواد الخام في إفريقيا الاستوائية التي كانوا يتاجرون بها مثل تبر الذهب ، والحجارة الكريمة والجاج ، والعبيد وجلود الحيوانات المفترسة ، بينما كان الفنقيون قبل ذلك يعتمدون على الوسطاء من قبائل الغرامانت الذين كانوا منتشرين في الصحراء (50). وتسير البقايا المادية التي عثر عليها في مدينة صبراته سنة 1951 إلى أن هذه المدينة كانت قد أزدادت أهميتها منذ القرن الخامس ق. م. بحيث أن منازلها في هذه الفترة أصبحت تبني بالاجر ، وأسس منازلها كانت من الحجارة المربعة (51) وبالإضافة إلى ما تقدم ، هناك بعض المراكز التجارية الأخرى التي

تمتد على كامل الساحل فيما بين صبراتة وحدرومت، وهي أقل أهمية من ناحية التجارة الخارجية وتشمل هذه المراكز قابس (Thacapab) وأشولة (Thapsus) التي أسسها فنيقيو مالطة وكذلك رأس الديماس (Acholla) التي عثر فيها هي الأخرى على مدافن تعود إلى القرن الرابع ق.م. أما مدينة مهديا فإن بقايا قبورها الحناذية تعود إلى القرن الخامس ق.م. وتشير الوثائق الكتابية من جهة أخرى بأن مدينة مالطة (Liptis-Minor) يمكن أن يعود تأسيسها إلى العهد الفينيقي الباكر (52). ويتبين من بقايا مدينة حدرومت (أي سوسة اليوم) الأثرية العائدة إلى القرن السادس ق.م. بأن هذه المدينة كانت تتمتع ببناء تجاري هام، كما كان يربطها بقرطاج طريق بري داخلي تجوبه القواقل، وورد اسم سوسة في نص سالوست الذي أشرنا إليه. وكانت هذه الأخيرة من المحطات التجارية الفينيقية الأولى التي أنشئت على سواحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ثم ازدادت أهميتها في العهدين القرطاجي والروماني. وكان هنيبعل عند عودته مع جيشه من حربه في إيطاليا سنة 203 ق.م.

— استجابة لنداء مجلس الشيوخ ، الذي كان قد دعا للدفاع عن مدينة قرطاجة — نزل بمدينة ملطة ثم اتجه منها إلى مدينة سوسة التي استعد فيها لمقابلة سبييون الأفريقي في معركة زاما (Zama) سنة 202 ق.م. (53).

وعلى طول المسافة الساحلية بين سوسة وقرطاجة أنشئت على التوالي: نابلس (Neapolis) وكيراكون (Korkowane) في رأس بونة : وقد عثر في موقع هذه الأخيرة على جدران وأرضيات غرف يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والثالث ق.م. ويحتمل بأنه كانت هناك محطات أخرى في منطقة رأس بونة اندثرت معالمها الأثرية بمرور الزمن ولم يبق منها إلا بعض الشواهد القليلة (54).

غربي قرطاجة :

تمتد هذه المحطات والمراكز التجارية هي الأخرى على بقية سواحل بلاد المغرب ابتداء من قرطاجة شرقاً حتى أعمدة هرقل غرباً (مضيق جبل طارق حالياً) ، ثم تتعطف بعد ذلك جنوباً على سواحل القارة الأفريقية الشمالية الغربية حتى ليكسوس . وتتابع جنوباً مشكلة سلسلة المراكز التي أنشأها حتون حوالي نهاية القرن الخامس ق. م.

أما محطة بنزرت (Hippo-Zarit) الواقعة غرب أوتيكا ، فإنها تعتبر أول محطات غربي قرطاجة ، وقد أسست بنزرت على شواطئ بحيرة صغيرة كان يربطها بالبحر خليج تعبيره السفن إلى البحيرة المذكورة فتصبح في مأمن من اضطرابات أمواج البحر وهي جانه (55). ويستنتج من بقايا بنزرت القديمة بأن هذه المدينة عرفت ازدهاراً كبيراً خلال القرنين الخامس والرابع ق. م. وكانت عنابة (Hippo-Rigius) تمثل مركزاً إدارياً للجهات القريبة منها ، وازدادت أهميتها في العهد الروماني حيث كانت تمثل الحدود الفاصلة بين مقاطعات إفريقيا ونوميديا (56).

وعلى مسافة غير بعيدة من عنابة غرباً توجد سكيكدة (Ruscinade) التي عبر فيها على بقايا أثرية تعود إلى القرن الثالث ق. م. وكانت لها صلات قوية بمدينة قسنطينة (سيرتا) الواقعة في الداخل (57). بينما تشير بقايا القبور العائدة إلى القرن الثالث ق. م. التي وجدت في جيجل (Igilgili) بأنه كان للقرطاجيين محطة تجارية تقع بالقرب من مدينة جيجل الحالية (58).

وقد حل التجار القرطاجيون أيضاً ببجاية (Rusuccur) ودلس (Saldae) دلت على ذلك البقايا الكتابية والنقوش التي عبر عليها في عدة أماكن منتشرة على كامل الساحل الممتد ما بين بجاية ودلس خلال حفريات سنة 1914 (59). وما لا شك فيه بأنه كان للقرطاجيين بخليج الجزائر

(Icosium) الذي كان محمياً من الرياح محطة تجارية هامة ، فستتتجز ذلك من قطع النقود القرطاجية التي تعود إلى فترة متأخرة من الوجود القرطاجي في بلاد المغرب . وهناك أسطورة تعزو تأسيس (إيكوزيوم) إلى رفاق الإله هرقل الذي يحتمل أن يكون هو الإله ملقارب الذي عرف معبده في مدینته صور (60).

كما أن الكتابة التاريخية تشير من جهتها إلى أنه كان للجزائر مجلس قضاء قبل الاحتلال الروماني (61).

بالاضافة إلى ما ذكرنا كانت تبيازا (Tipaza) لواقعة إلى الشرق من شرشال تمثل محطة فنية تعود بقاياها المادية إلى حوالي القرن السادس ق.م. غير أنه يلاحظ بأن محطة تبيازا في العهد القرطاجي كانت لا تستعمل إلا لصيد الأسماك أو الالتفاء بالسكان المحليين للتبادل التجاري (62). وبالعكس من ذلك فإن شرشال (63) كانت من المحطات الفنية الهامة التي عبر فيها على بقايا برونز ، وفخارية وجدت عليها كتابة فنية . كما أن اسمها الحقيقي (ايول) يعتقد بأنه أحد أسماء الآلهة الفنية . وكانت شرشال تحتوي على ميناءين خصص أحدهما للتجارة ، والآخر للاسطول الحربي على الطريقة الفنية (63). وعلى مسافة 33 كيلومتر إلى المغرب من شرشال أنشئت محطة جورايا (Gunugu) التي يستنتج من بقاياها الفخارية بأن القرطاجيين كانوا قد امتزجو بالسكان المحليين ، وأن عادة دفن جثة الميت لدى سكان جورايا كانت تم وفق الطريقة الشرقية التي كان يتبعها الفنقيون ، مما يؤكد حقيقة هذا الامتزاج خاصة في فترة القرن الرابع ق. م. وما يليها (64).

وقد ورد اسم تنس (Cartennae) في قائمة أسماء المحطات والمراکز التجارية الفنية في بلاد المغرب ، إلا أن اسمها القديم (كارتينا) لم تعرف به إلا في العهد الروماني (65). ويظهر التأثير الفنيي واضحآ في البقايا

المادية التي عثر عليها في كل من سيقا (Siga) ومليلة (Rusadur) العائدة إلى القرن الثاني ق. م. (66).

أما بالنسبة لتطوان (Tamuda)، وطنجة (Tingi) فقد كان الغرض من تأسيسها ضمان الاتصال بين المستوطنات الفينيقية في كل من شواطئ بلاد المغرب وجنوب غرب إسبانيا (قادس) (67).

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان مضيق جبل طارق كان وما يزال يعتبر بثابة بوابة للدخول إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ولذلك فهو يعد من الأماكن الاستراتيجية التي يجب التحكم فيها ، لاسيما في فترة التوسع القرطاجي خلال القرنين السادس والخامس ق. م. اللذين أصبح الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فيهما بحيرة قرطاجية (68). (أنظر الشكل 6 ، ص 92).

وخلاصة القول ، يمكن أن نلاحظ بأن اهتمام الفينيقيين وتركزهم في الساحل الشرقي من قرطاجة كان أكثر منه في الساحل الغربي منها ، وهذا يمكن أن يكون راجعاً إلى طبيعة هذا الأخير الذي كان معرضاً للرياح الشمالية ، وحالياً من الخلجان الصالحة للارساء بالإضافة إلى أنه كان صخرياً في معظمها . ولم يعن القرطاجيون بهذا الساحل الغربي إلا بعد هزيمتهم في معركة هيمرة سنة 480 ق. م. أمام قوة المدن الإغريقية في صقلية . وقد تجهزوا بعد ذلك وجهة أفريقية بغية تعويض ما فقدوه في صقلية .

أما إذا تساءلنا، لماذا لم ينفذ الفينيقيون إلى داخل بلاد المغرب ، واكتفوا ببناء المستوطنات والمحطات التجارية على السواحل ؟

فإننا يمكن أن نعيد ذلك إلى عدة أسباب منها :

1) وجود سلسلة جبال الأطلسي الصعبة المسالك والتي تسير شبه

موازية للساحل كانت تمنعهم من النفوذ إلى الداخل فيما عدا بعض المرات الضيقة التي كانت تتبع مسالك الوديان المتوجهة نحو الداخل .

2) طبيعة الفنقيين البحرية كانت تحرم عليهم التعامل مع سكان السواحل التي كانوا ينزلون بها في طريقهم إلى مناطق المعادن الشمنة في إسبانيا ، وافريقيا الاستوائية .

3) اعتماد الفنقيين على علاقتهم الطيبة مع السكان المحليين في بلاد المغرب جعلتهم يحصلون على منتجات المناطق الداخلية بدون عناء عن طريق هؤلاء السكان الذين كانوا يتعاملون معهم بواسطة المقايضة .

وعلى سبيل المقارنة نستطيع أن نلمس هنا مردود العلاقات السلمية المعتمدة على المصالح الاقتصادية والحضارية المتبادلة بين سكان المغرب والقادمين بالحدد من الفنقيين . بينما على العكس من ذلك كانت سياسة الرومان فيما بعد تعتمد على السيطرة وتهدم إلى تحويل المغرب القديم إلى مستعمرة تخدم الاقتصاد الروماني وحده وتشيع رغبة العسكرية الرومانية . ولذلك نجد أن الرومان كانوا قد نفذوا إلى المناطق الداخلية ، وبنوا مدنًا وقلاءً عسكرية لا زالت آثارها تشهد حتى وقتنا الحاضر وقد كانت بلاد المغرب في العهد الروماني تعرف بأهراء روما للقمح (Grñiers de Rome)

الفَصْلُ الْخَامِسُ

مُسْتَوْكَنَةٌ فِي طَاجِّةٍ

أ) تاريخ نشوء قرطاجة .

1 — الوثائق الكتابية .

2 — الناحية الطبوغرافية .

ب) النشاط الاقتصادي :

— التجارة — الصناعة — الزراعة .

مستوطنة قرطاجة

أ - تاريخ نشوء قرطاجة

1 - الوثائق الكتابية

تكاد المصادر الكتابية تتفق على اعتبار سنة 814 ق. م. تاريخاً رسمياً لتأسيس مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين الفينيقيين ، على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق بدایة الالعاب الاولمبية الأولى (778 ق. م.) بحوالي 88 سنة ، وتأخر عن بناء مدينة أوتيكا بقدر 287 سنة(1).

وفي نصوص للمؤرخ اليهودي يوسيفوس (2) ، ألفها بالاستناد إلى الكاتب الهلنستي ميناندروس الافيسوسى الذي استند على وثائق ملوك من مدينة صور ، سجل فيها تسلسل ملوك المدينة الذين حكموا لمدة قرن ونصف من الزمن ، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي جدت في عهودهم ، وقد أشار يوسيفوس إلى أن بغماليون كان قد عاش 56 سنة تولى الحكم خلاها لمدة 47 عاماً ، وفي السنة السابعة من حكمه فرت أخته أليسا إلى ليبية (Libye) حيث أسست هناك مدينة قرطاجة (3) وبالاستناد إلى قائمة حكم ملوك مدينة صور نفسها يشير المؤرخ يوسيفوس إلى أن هذا الحدث (أي فرار أليسا) تم بعد مئة وخمسة وخمسين سنة وثمانية أشهر من استلام أحيرام حكم صور وكان هذا الأخير حليفاً للملكيين داود وسليمان .

محتوى أسطورة اليسا وبناء مدينة قرطاجة

« تذكر الاسطورة بأنه بعد وفاة الملك مтан بقي الحكم لابنه أليسا وبغماليون . وكانت أليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبـد الإله ملقارـت الذي كان موفـور الثروـة وقد خشي عـاشر باـس عـلى ثـروـته من الـلـصـوص فـدـفـنـها تـحـتـ جـدـرـانـ المـعـبـدـ وـعـنـدـمـاـ بـلـغـ نـيـأـ الـكـنـزـ الـمـدـفـونـ بـغـمـالـيـونـ الـذـيـ كـانـ هـوـ الـآـخـرـ شـغـوفـاـ بـالـمـالـ اـعـتـقـدـ بـأـنـ الـحـيـطـةـ إـنـاـ اـتـخـذـتـ مـنـ أـجـلـهـ فـقـتـلـ زـوـجـ أـخـتـهـ بـغـيـةـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـالـهـ . غيرـ أنـ أـلـيـساـ عـرـفـتـ كـيـفـ تـحـتـالـ عـلـىـ أـخـيـهـاـ بـتـظـاهـرـهـاـ أـمـامـهـ بـعـدـ الـأـكـثـرـاتـ بـالـحـادـثـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـطـعـ قـلـبـهـاـ خـفـيـةـ ،ـ وـعـنـدـمـاـ آـمـنـتـ شـرـ أـخـيـهـاـ حـمـلـتـ أـمـوـالـ زـوـجـهـاـ وـأـبـحـرـتـ بـهـاـ صـاحـبـةـ مـؤـيدـهـاـ إـلـىـ قـبـرـصـ حـيـثـ انـضـمـ اليـهاـ كـاهـنـ جـوـنـوـ بـعـدـ أـنـ ضـمـنـ لـنـفـسـهـ وـلـأـسـرـتـهـ مـنـ بـعـدـ الـاـشـرـافـ الـدـينـيـ فيـ الـمـدـيـنـةـ الـجـدـيـدـةـ . كـمـاـ حـمـلـتـ يـلـيـساـ مـعـهـاـ مـنـ قـبـرـصـ ثـمـانـيـنـ فـتـاةـ مـنـ فـتـيـاتـ الـمـعـبـدـ لـيـكـنـ أـزـواـجـاـ لـلـشـبـابـ الـدـيـنـ كـانـوـاـ مـعـهـاـ . أـبـحـرـتـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ فـتـرـلـتـ بـالـقـرـبـ مـنـ مـدـيـنـةـ أـوـتـيـكاـ . وـقـدـ رـحـبـ بـهـاـ سـكـانـ الـمـنـطـقـةـ مـنـ الـمـغـارـبـ الـدـيـنـ اـبـتـاعـتـ مـنـهـمـ قـطـعـةـ أـرـضـ مـقـدـارـ جـلـدـ ثـورـ قـطـعـتـ الـخـلدـ إـلـىـ أـشـرـطةـ صـغـيرـةـ أـحـاطـتـ بـمـسـاحـةـ تـكـفـيـ لـبـنـاءـ مـدـيـنـةـ الـجـدـيـدـةـ (ـ قـرـطـ حدـشـتـ)ـ (ـ 4ـ)ـ .

ويستنتج من أسطورة بناء مدينة قرطاجة أن هناك اضطرابات سياسية داخل البيت المالك في مدينة صور نتج عنها انسحاب الحزب المهزوم إلى المناطق النائية ، ليبدأ حياة جديدة ، وقد امتازت قرطاجة بجودة موقعها الاستراتيجي حيث بنيت على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة وببحيرتي تونس وأريانة من الجهتين الأخريين . أما من الخلف فأنها محمية بارتفاع بيرصة (Byrsa) الذي بني في قمته معبد الإله أشمون (Eshmoun) (5)، ولا تتصل قرطاجة باليابسة إلا عن طريق بربخ ضيق يبلغ طوله حوالي

أربعة كيلومترات ونصف . وقد وصف المؤرخ أبيان (Appian) مدينة قرطاجة بأنها تشبه السفينة الراسية (6). (أنظر الشكل رقم 7 ، ص 108)

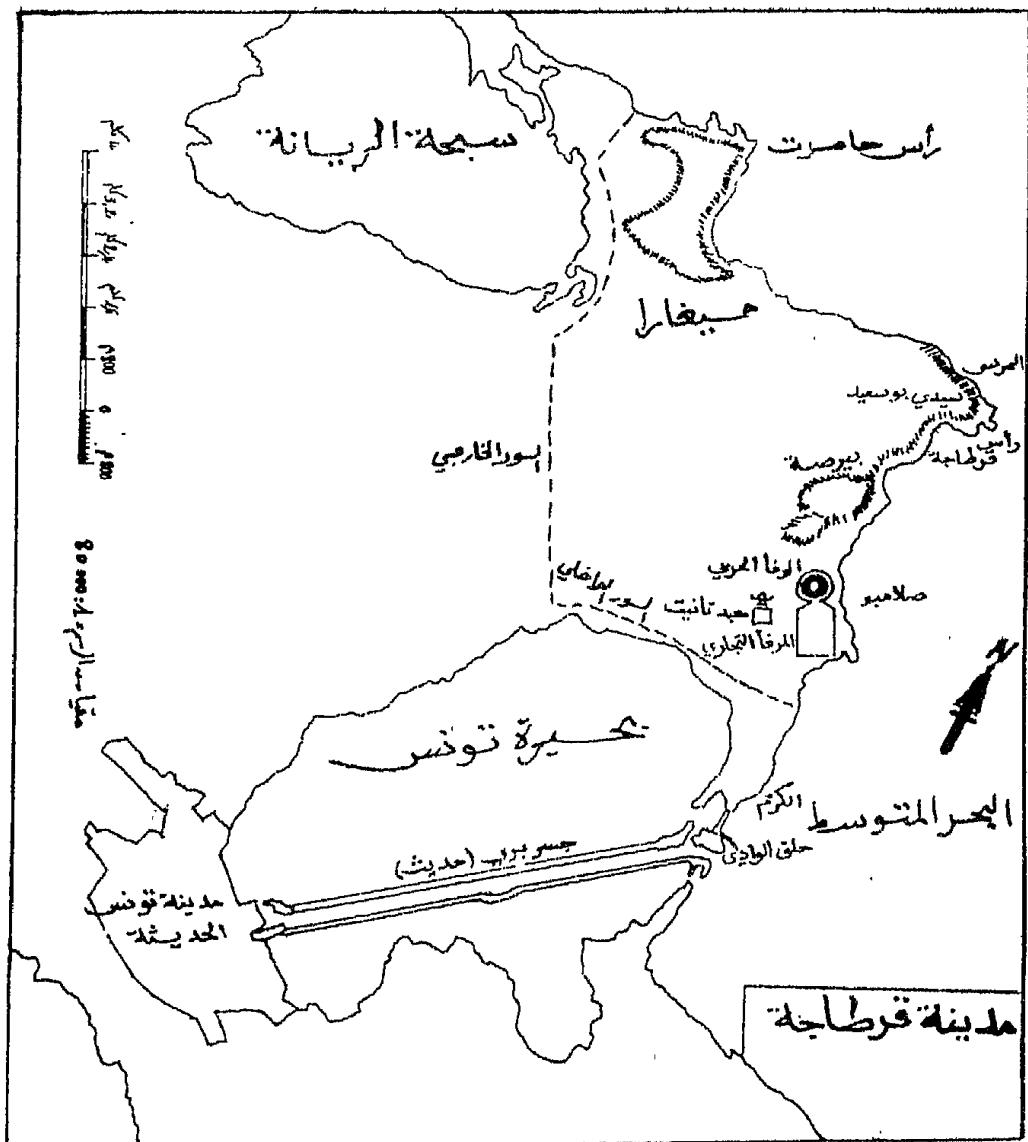
أما المؤرخ بوليبيوس (Polybius) الذي شاهد تهديم قرطاجة في القرن الثاني ق. م. فقد ذكر بأن قرطاجة تمتد على شاطئ خليج وسط شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة ، وبالبحيرة من الجهة الأخرى (بحيرة تونس) . ولا يزيد عرض البرزخ الذي يربطها بليبيا عن 25 ستادا (Stades) وعلى مسافة غير بعيدة من قرطاجة عبر الشاطئ ، كانت تقع أوتيكا ، بينما تقع تونس على الحانيب الآخر من البحيرة (7).

2 – الناحية الطبوغرافية

تؤكد الكتابات الكلاسيكية بالإضافة إلى نتائج الابحاث الاثرية ، أن مدينة قرطاجة كانت مقسمة إلى أحياط سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي ، وهي أحياط صلامبو ، بيرصة ثم ميغارا (8) .

ويستنتج من بقايا الحفريات التي تواصلت منذ سنة 1944 في صلامبو بأن هذا الحي يعد من أقدم الجهات في مدينة قرطاجة ، وذلك بالأعتماد على بقايا قبور معبد الآلهة تانيت العائدة إلى منتصف القرن الثامن ق. م (9).

أما حي بيرصة فقد كان محاطاً بسور قوي يتوسطه معبد الآلة أشمون . وفي الناحية الجنوبية من حي بيرصة توجد المقبرة العامة . وكان هناك ثلاثة شوارع تنحدر من نفس الحي لتربطه بالسانحة العمومية وبالميناء المزدوج . وعلى أطراف هذه الشوارع ترتفع الأبنية الشاهقة التي وصل ارتفاعها إلى ست طوابق وفق الطراز المعماري الذي كان شائعاً في فنيقيا الام وفي موتيا (Motya) . وقد كانت هذه الأبنية مخصصة لسكنى الطبقة الشعبية التي تتكون من الصناع والتجار والحرفيين . وفي أسفل الحي المذكور توجد



(الشكل رقم ٧)

الساحة العمومية التي هي بمثابة الاكورة (Agora) في المدن الاغريقية والفوروم (Forum) عند الرومان . و حول الساحة العمومية ، كانت توجد المباني الرسمية مثل مبني مجلس الشيوخ ، والحكام و دار اليمافة (11).

ويعد الميناء المزدوج بقسميه التجاري والحربي من الاجزاء الهامة في مدينة قرطاجة . وتشير الكتابات التاريخية الى أن عرض مدخل ميناء قرطاجة كان يقدر بحوالي 23 متراً أو 70 قدماً يقفل بسلامل حديثة (12) . وكان الدخول والخروج من ميناء قرطاجة في فصل الشتاء يصبح صعباً لذلك زود هذا المدخل برصيف يصعد فوقه البحارة ثم يبحرون سفنهم بالحجال الى الداخل حتى تصبح في مأمن من تقلبات الطبيعة . أما في الفصول المعتدلة فقد كانت السفن التجارية ترسو في عرض خليج الكرم خارج الميناء

وقد كان ميناء قرطاجة من الداخل مقسماً الى قسمين تربط بينهما قناة يبلغ عرضها . حوالي 23 متراً تنتقل فيها السفن من أحد الاجزاء الى الثاني . وعرف المرفأ الخارجي المستطيل الشكل الذي يبلغ طوله حوالي 456 متراً وعرضه 325 متراً، ثم قدر عرض رصيفه بحوالي 4,53 متراً ، عرف بالمرفأ التجاري . وكان المرفأ الداخلي أو الحربي يسمى بالقاطون (Cothon) (13) . وهو مستدير الشكل بحيط به رصيف بلغ طول محيطيه 1021 متراً وعرضه 9 متراً ، بنيت في الناحية الداخلية منه حجرات تكفي مع حجرات رصيف الجزيرة الداخلية لايواه حوالي 220 سفينه . وقد خصصت الجزيرة الداخلية لسكنى امير البحر الذي كان يقوم بمراقبة الحرفة على سطح مياه البحر القريبة منه ، ومن وراء رصيف المرفأ البحري يرتفع سور متين تتخلله أعمدة من المرمر تحجب الرؤيا من الخارج لما يجري داخله وهناك مدخل خاص يربط المرفأ الحربي بالساحة العمومية (14) .

وتعتبر الاسوار الدفاعية من أهم المنشآت في مدينة قرطاجة ، فهي

تحيط بالمدينة وتقطع عند البرزخ الضيق المشار إليه ، لترك فتحة للدخول أو الخروج من المدينة (15) وقد بلغ سمك السور الأول الممالي للمدينة تسعة أمتار ، وارتفاعه 13 متراً . بينما يقدر محيطه بحوالي 34 كيلومتراً تتخلله أبراج للمراقبة على بعد كل 60 متراً (16) .

ويشير المؤرخ أبيان (Appian) بأن ارتفاع كل سور من الأسوار الثلاثة يبلغ 13،32 م دون أن يدخل في الحساب علو الشرفات وال أبراج . وبقدر عرض كل جدار بحوالي 8،88 متراً . ويوجد في الجهة الداخلية من كل سور فراغ يبني بشكل طابقين ، خصص أولها لايواء 300 فيل بزادها ومعاشهها .

أما الطابق الثاني الذي يوصل إليه عن طريق مر يصعد من الأول ، فقد وجد به اصطبل كان يتسع لحوالي 4000 حصان بما في ذلك مخازن للعلف والشعير بالإضافة إلى ثكنات عسكرية تأوي حوالي 20 ألفاً من المشاة و4000 من الفرسان (17) . وأمام السور المذكور كان يوجد خندق كبير يبلغ عرضه حوالي 20 متراً ثبتت على أطرافه الخارجية أعمدة خشبية كانت تشكل سياجاً قوياً . وتشير نتائج الابحاث الاثرية التي قام بها عدة علماء اثريين في مدينة قرطاجة وضواحيها ، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، بأن سور مدينة قرطاجة كان يحيط بالمدينة من جهة اليابسة وقد هدمه الحبيش الروماني اثر تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق . م ونقلت حجارته الكبيرة فاستعملت في بناء مدينة قرطاجة الرومانية فيما بعد . ولم يبق أي أثر يذكر لهذا السور فيما عدا الخندق الذي كان خارجه ، والذي اكتشف جزء منه الجنرال دوفال (R. Duval) في الحفريات التي قام بها سنة 1949 . وورد في تقرير نتائج حفريات الجنرال دوفال بأن الجهة الشرقية من الخندق ، كانت محاطة بشريط من الصخور المنحوتة تحتوي على حفر دائيرية ما زال بعضها يحتوي بقايا جرار فخارية تتخذ كقواعد لثبتت بها الأعمدة الخشبية التي تحيط بالخندق (18) ويعتقد بأن الأعمدة المذكورة تشكل الحصن الخارجي من

السور ، ويستطيع الناظر من الطائرة أن يشاهد بوضوح آثار الخندق بارزة
لمسافة قصيرة حول موقع قرطاجة القديمة.

و كانت منازل حي ميغارا (Megara) الذي يسكنه أثرياء مدينة
قرطاجة تدل على معانٍ الترف والغنى حيث كانت محاطة بالسدايق
والبساتين . و تذكر الكتابات التاريخية بأن حي ميغارا كان خارج سور
قرطاجة ، بينما المصادر المادية تشير من جهتها إلى أن هذا الحي كان هو
الآخر داخل نطاق السور المذكور (19) .

ومعها كانت طبيعة سور قرطاجة وتاريخ بنائه ، فقد كان يشكل بحق
منشأة دفاعية هامة تحطم كل محاولات الغزاة من القادة
الاغريق والرومان الذين نقلوا الحرب إلى بلاد المغرب بغية الاستيلاء على
مدينة قرطاجة قبل القرن الثاني قبل الميلاد (20) .

ب—النشاط الاقتصادي

التجارة : كانت قرطاجة منذ نشأتها الأولى ، تمثل مستوطنة فنيقية
هامة في الخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، حيث كونت مع جارتها
أوتيكا ، والمستوطنات الفنية المقابلة لها في الطرف الجنوبي الغربي من
صقلية مفاتيح الاتصال بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه .

لقد أهل قرطاجة موقعها الاستراتيجي لأن تلعب دوراً هاماً في
الميدانين الاقتصادي والسياسي ، فانتهزت فرصة انحطاط فنيقيا الامحلاط
بداية القرن السابع ق . م عندما توالت على هذه الاخير هجمات الاشوريين
من الداخل ، وحصار التجار الاغريق الذين استعادوا قوتهم البحريه منذ
حوالي منتصف القرن الثامن ق . م (21) . فانتهزت قرطاجة هذه الفرصة
وتزعمت السيادة البحريه والسياسية في غرب البحر الأبيض المتوسط .
وبذلك أصبحت أمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في ليبيا شرقاً وتحجاوز

أعمدة هرقل غرباً ، كما ضمت إليها سواحل كل من إسبانيا والباليار وسردينيا ، كذلك جنوب غربي صقلية (22) .

ولم يكن القرطاجيون في أول الأمر يهتمون بالصناعة والزراعة بقدر ما كانوا يعنون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة . ويتمثل دورهم التجاري في اتصال خامات معادن الفضة والقصدير والرصاص إلى الدول المصنعة في شرق المتوسط، ثم نقل للبضائع المصنعة من الدول المذكورة وتوزيعها على محتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعياً الذين كان القرطاجيون يتعاملون معهم عن طريق المقاييسة (23) . وقد كان القرطاجيون يحصلون على المواد الخام التي أشرنا إليها من مواطنها الأصلية في كل من : مقاطعة كرنويل في جنوب إنجلترا . وجزر كاسيتريوس التي كانت تحتوي على معادن القصدير . وأسبانيا التي وجدت بها مناجم الفضة والرصاص والنحاس . ثم من غرب أفريقيا . الاستوائية وبلاط السودان اللتين كان يجذب منها تبر الذهب والجاج واللؤلؤ (24) .

ولضمان سير الحركة التجارية القرطاجية وتوسيعها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تحالف القرطاجيون مع الاتروسكيين . ثم فرضوا سيادتهم على التجار الأغريق والرومان (25) . ولتأمين الاحتكار التجاري ارتبطت قرطاجة مع روما بمعاهدين كانت أولاهما سنة 509 ق . م — والثانية سنة 348 ق . م وقد نص في هاتين المعاهدين على حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وألزمت الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئه قبل أخذ إذن من القرطاجيين (26) . وقد بقي الأمر على ذلك حتى النصف الثاني من القرن الثالث ق . م عندما فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية وأسبانيا . ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البوئية الثانية فاقتصرت على شمال تونس .

الصناعة : اشتغل الفينيقيون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة ، غير أنها كانت في أول الأمر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن واصلاحها ثم استخراج صباغة الاجوان من مخار الميوريكس الذي يصطادونه من شواطيء بلاد المغرب ، بالإضافة الى صناعة الفخار التي كانت تنقصها الجودة والاتقان . ولم تزدهر الصناعة القرطاجية الا اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد عندما اصطدمت قرطاجة باتحاد المدن الافريقية في معركة هيميرا سنة 480 ق . م .

اتضح لقرطاجة بعد هذا الاصطدام أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مقبل ما لم تكن تملك صناعة قوية (27) . ومن جهة أخرى فإنه بحكم استيطان الافريقي في كل من شرق صقلية، وقرينة بليبيا، كانوا قد وقفوا حاجزاً دون اتصال القرطاجيين بشريبي المتوسط فاضطرب القرطاجيون أمام هذه الضرورة الملحة ، الى تصنيع المواد الخام المعدينة التي كانوا يجلبونها من المناطق المجاورة لهم ، كما عمدوا في نفس الفترة ، الى تشجيع الزراعة ، وهذا مما يطلق عليه بمرحلة التحول في حياة سكان مدينة قرطاجة واتجاههم وبجهة افريقية . وقد يربع القرطاجيون في صناعة المعادن والنسيج، والثياب الارجوانية، وصناعة الاخشاب والنقش على الحجارة الكريمة . وأهم صناعة وجدت بقاياها بكثرة في قبور القرطاجيين ، الفخار الذي كان يشكل مادة هامة في الصناعة القرطاجية رغم خلوه من الخصائص الفنية والاتقان . وتشير نتائج الابحاث الاثرية الى أنه كان القرطاجيون معامل للمخزف بالقرب من مدافن درمش (Dermech) بقرطاجة . ويعتقد بأن فخار هذه المعامل كان قد خصص لتجهيز القبور (28) . واستعمل القرطاجيون الفخار ايضاً في استعمالاتهم المترتبة فصنعوا منه المصابيح والتأليل الصغيرة ، ثم الاقنعة والقدور ، والاجاجين (Urnes) . وكانت هذه الاخيره تستعمل لحفظ عظام الموتى الذين كانوا يقدمون قرباناً للاللهة . وقد وجد نموذج من الاجاجين التي تحوي عظام الاطفال الصغار المضحي بهم في معبد الالهة تانيت (Tanit) بسلامبو (Salammbô)

يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن ق . م (29) .

هذا وقد ظهرت قدرة قرطاجنة الصناعية أثناء الحرب البونية الثالثة (149 - 146) ق . م . عندما فشل مجلس الشيوخ القرطاجي في اقناع القنصل الذي كان يقود الجيش الروماني للعدول عن رأيه في تهديم قرطاجنة التي استجابت لطلب الرومان بتقديم كل أسلحتها لتبرهن لهم بذلك عن حسن نيتها ورغبتها في السلم ، فقد تحولت المدينة بأكملها إلى ورش صناعية تنتج كل يوم حوالي 100 ترس ، و 300 سيف ، ثم 500 رمح بالإضافة إلى 1000 سهم تُقذف بواسطة المنجنيق (Catapulte) . وعدد من الالات الحربية الأخرى (30) .

الزراعة : لم يعتمد القرطاجيون على التجارة والصناعة وحدهما ، بل كان للقطاع الزراعي أيضاً مكانته الخاصة . وقد تطورت الزراعة مثل الصناعة تدريجياً . حيث كانت في أول الأمر تنحصر في منطقة شبه جزيرة رأس بونة ، ثم تطورت بعد ذلك فشملت منطقة شهاب تونس . وتشير الكتابات التاريخية إلى أنّه في أواخر القرن الرابع ق . م عندما غزا أجاتو كليوس (Agathocles) بلاد المغرب ، ونزل بجنوده في طرف شبه جزيرة رأس بونة وجد في المنطقة الريفية المحيطة بقرطاجنة بساتين جميلة ومرروجاً حضراً ملائكة بالقطuan والابقار والخيول . الخ (31) . وبعد ذلك بحوالي نصف قرن وجد الجنود الرومان الذين كان يقودهم رينغولوس (Regulus) المنطقة مزدهرة أكثر من ذي قبل فشرعوا يخربون المزارع والبساتين ليث الهلع في نفوس السكان وشن الاقتصاد القرطاجي (32) .

قد كانت ملكية المزارع الواسعة من حق الأغنياء الارستقراطيين . الذين كانوا يوجهون السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة قرطاجنة ، ومن أهم المزروعات الشائعة في عهد القرطاجيين أشجار الزيتون والكرم ثم التين والرمان ، وأنواع أخرى من الفواكه والخضروات ، بالإضافة إلى القمح والشعير (33) . وكان القرطاجيون قد برعوا في ميدان الزراعة

فظهر من بينهم العلماء المختصون الذين أغنوا مكتبات العالم القديم . ومن بين هؤلاء نذكر العالم ماغون (Magon) الذي عاش في حوالي القرن الثالث ق . م وألف دائرة معارف تتكون من 28 كتاباً علمياً ضمنها خبراته في فن الزراعة ، وقد قدم نصائحه لمن يشتغل بالزراعة خاصة فيما يتعلق بغرس الاشجار ونظام سقيها ، ثم الاماكن الصالحة لزراعة كل نوع منها . كما شرح ماغون الطرق الكفيلة بتربية الحيوانات وصناعة الحسسور (34) .

ولم يكتفى ماغون بتقديم النصائح العلمية في ميدان الزراعة بل ذهب إلى أكثر من ذلك فعارض امتلاك المواطنين للأراضي الزراعية واهماهم العناية بها ، وطلب من يزاول مهنة الزراعة أن يتفرغ لها . وقد ورد في أحدي كتاباته يتبعي على من يشتري أرضاً زراعية أن يبيع بيته في المدينة ، حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التي تدفعه إلى عبادة (آلهة) منزله في المدينة بدلاً من عبادة (آلهة) الريف ، و المرء الذي يجد متعةً أكبر في مقره في المدينة ليس بحاجة لامتلاك أرض في الريف (35) .

وخلال هذه القول ، يمكن أن نستنتج بما تقدم حول موضوع النشاط الاقتصادي القرطاجي ، بأنه كان اقتصاداً منا إلى حد كبير اعتمد على ثلاثة موارد رئيسية هي : التجارة والصناعة والزراعة . غير أنه من جهة أخرى فإن هذا الازدهار الاقتصادي كان من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت الرومان - خلال فترة توسعهم ينضمون إلى القرطاجيين . وبالتالي يقدمون على تهديم مدينة قرطاجنة سنة 146 ق. م ثم يحررون المحراث في أرضها وتصبح أرضاً ملعونة (لا تصلح لشيء) .

وقد قيل بأنه بعد انتهاء عملية التهديم ، وقف القائد سبيون أمليانوس (Scipion Emilien) الذي قاد عملية التهديم يتأمل مجده قرطاجنة الغابر ، ثم قال قوله المشهورة مستشهداً بـشعر هوميروس طروادة سوف تلقى بدورها يوم نحس (36) . وكان يقصد بذلك مدينة روما .

حاتمة

تلقت منطقة الساحل الكنعاني منذ منتصف الالف الثاني ق . م آثار
الصراع الناشب بين جيرانها الاقوياء : المصريون في وادي النيل ،
والحيثيون في آسيا الصغرى . كان هم هؤلاء الحميران ، الحصول على خيرات
سوريا الداخلية : كالاخشاب والزيتون والجمور الخ ... من ذلك أن
المنطقة الجنوبية الداخلية من سوريا كانت تعرف عند المصريين «بلاد
العسل واللبن ..»

وقد ترتب على هذا الصراع تقسيم الساحل السوري سياسياً خلال القرن الثالث عشر ق. م إلى منطقتين نفوذاً هامتين هما: القسم الشمالي الذي كانت مدنـه تحت تأثير النفوذ الحـي ، ثم القسم الجنوبي الذي كان تابعاً إسـمياً لمصر . غير أن هذه الفترة لم تدم طويلاً فقد انتهـت بمجيء غزوـة شعوب البحر المدمرة التي وضـعت حدًّا للنفوـذـين المصري والـحـيـ في المنطقة فأدى ذلك إلى نشوء فراغ سيـاسيـ في منـطقةـ السـاحـلـ السـورـيـ .

وهذا بدوره ترك المجال فسيحًا لمالك المدن الفنية التي استعادت قوتها وازدهارها بسرعة فائقة . واستطاعت مدينة صور بحكم موقعها الهام - على جزيرة بالقرب من الساحل أن تترعى مدن الساحل الفينيقي ، ثم تلعب دوراً كبيراً في إعادة بناء الأسطول الفينيقي الذي أصبح البحر الأبيض المتوسط مفتوحاً أمامه . خاصة بعد الركود الذي أصاب البحري

الايحية من جراء غزو شعوب البحر التي اجتاحت أيضاً بلاد اليونان وجزر البحر الايجي فاندفع التجار واللاحون الفنقيرون تحت زعامة صور . يجوبون البحر الابيض المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي بحثاً عن الاسواق التجارية والسلع الرئيسية ، وقد لفت انتباهم توفر خامات الفضة والنحاس والرصاص في شبه جزيرة ايبيريا ، وأقصى الغرب ببلاد المغرب ، لذلك نراهم يؤسسون محطات تجارية باكرة ، مثل قادس ، وليسوس وأوتيكا لتكون نقطة اتصال بينهم وبين السكان المحليين . وقد آلت هذه المحطات فيما بعد الى مستوطنات تجارية متقدمة على المحيط الاطلسي .

وقد تبين لنا من خلال البحث ، أن تأسيس المستوطنات الفنيقية في غرب البحر الابيض المتوسط ، لا يقتصر على مدينة دون أخرى من مدن الساحل الفنقي التي استعادت ازدهارها غير أن ذلك لا يمنع أن تكون عملية الاستيطان هذه قد آلت تحت سيادة صور التي آلت اليها زعامة المدن الفنيقية في شرق البحر الابيض المتوسط ، منذ القرن الثاني عشر ق . م . كما أن تأسيس مستوطني قادس وليسوس على المحيط الاطلسي لم يكن لاغراض اقتصادية فحسب بل كان الهدف منه أيضاً مواصلة الكشف ، وقد اتضحت ذلك فيما بعد عندما انطلق الفنقيرون عن طريق البحر من قادس شمالاً الى جزر كاسيتيروس والى كورنويل ، واتجهوا أيضاً الى الجنوب من ليسوس حتى بلغوا سواحل الكمرتون في غرب افريقيا الاستوائية ، وبذلك أضافوا محطات أخرى تجارية في هذه المنطقة الاخيرة يمكن أن يطلق عليها اسم (محطات حنون) نذكر منها على سبيل المثال : ثامياتريون (Thymiatirion) ، وسولوثيس (Soleis) وقرنة (Cerne) . ولا بد أن نذكر هنا ، بأن اكتشاف المحيط الاطلسي وارتياده لأول مرة يرجع الفضل فيه الى البحارة الفنقيرين ، الذين جاؤوه بسفنهם قبل غيرهم حسبما تشير الى ذلك الوثائق الكتابية ، وهنا يمكن أن نتساءل عن الطريق الذي سلكه الفنقيرون للوصول الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، والخروج الى المحيط الاطلسي . وللاجابة عن

هذا السؤال، يمكن أن نعود إلى ما ذكرناه خلال البحث في الفصل الخاص بالتوسيع الفنيقي في غرب البحرين المتوسط.

كما أن سبق قادس وليكسوس في التأسيس على كل من أوديaka وقرطاجة ، تم بقية محطات بلاد المغرب الأخرى الواقعة على الطريق الساحلي الرابطة بين فنقيها الام والمحيط الاطلسي يجعلنا نرجح بأن عملية استيطان الفينيقيين في بلاد المغرب كانت قد بدأت من الغرب إلى الشرق.

ومن جهة أخرى فإنه بالاستناد إلى الكتابات التاريخية التي تعيد استقرار الفينيقيين في قبرص إلى حوالي منتصف الألف الثاني او بعده بقليل ، وكذلك سبق حاولهم بروتس وببلاد اليونان عن استيطانهم في غرب البحر الأبيض المتوسط . بالإضافة إلى توزعهم في كامل صقلية قبل وصول الأغريق إليها ، في منتصف القرن الثامن ق. م. مثلما أشار إلى ذلك توكيديديس كل هذا يجعلنا نعتقد بأن الفينيقيين كانوا قد سلكوا طريق شمال الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط عند قدومهم لأول مرة باتجاه شبه جزيرة إيريا التي كانت هدفاً في حد ذاتها ، نظراً لتوفر الخامات المعادن بها ، غير أنهم عند الرجوع سلكوا ساحل بلاد المغرب . وبذلك كان الاستيطان في هذه المنطقة الأخيرة وفقاً للترتيب الكرونوولوجي ابتداء من الغرب إلى الشرق .

وقد كانت بعض المدن الفينيقية سواء في الساحل السوري أو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تتبع مبدأ ازدواجية الميناء. ولا نستطيع أن نعرف الهدف الحقيقي الذي سعى إليه الفينيقيون من وراء هذه التنظيم . غير أن الذي يمكن أن نلاحظه هو أن هذه المدن التي كانت تتمتع بنظام ازدواجية الميناء ، كانت لها صبغة استراتيجية هامة بالإضافة إلى الناحية الاقتصادية . (أنظر الفصل الرابع) .

وبالآن نختم هذا البحث لا بد أن نشير إشارة عابرة إلى علاقة سكان

المغرب القديم بالوافدين الجدد من الفنقيين . وفي هذا الصدد نلاحظ بأن العلاقة بين البحانين كانت حتى القرن الرابع ق. م. مبنية على التعاون الإسلامي والاتصال الحضاري والاقتصادي . أما بعد هذه الفترة المشار إليها فقد بدأت العلاقة السياسية بين القرطاجيين والسكان المحليين توسيع شيئاً فشيئاً ، وذلك لعدة أسباب اقتصادية وسياسية أمنتها على قرطاجة روح السياسة الأفريقية التي اتبعتها بعد هزيمتها أمام تحالف المدن الإغريقية في معركة هيمرا بصفلية سنة 480 ق. م.

ولم تنجح محاولات المغاربة الأولى للوقوف في وجه القرطاجيين ذلك لأن المغاربة كانوا حتى القرن الثالث ق. م. لا زالوا يعيشون على النظام القبلي . كما أنهم كانوا يفتقدون آنذاك إلى الوحدة السياسية ، ولا يتقيدون بنظام سياسي ضمن المدينة الواحدة ولم يتتوفر لهم ذلك إلا عندما استبدلوا النظام القبلي بالنظام الأقليمي تحت زعامة الأقليد (الملك) .

من هنا الاستعراض .. القصدير . للعلاقات الفنيقية المغربية ندرك بأن الموضوع لازال يحتاج إلى دراسة علمية موضوعية تعطي لسكان المنطقة الأوائل ما هم ، وما عليهم . وقد لا يلاحظنا من خلال دراستنا لموضوع التوسيع الفنقي في عربي المتوسط بأن الحقبة الفنيقية في بلاد المغرب ، وخاصة منطقة نوميديا لازالت لم تحظ بعد بالعناية الكاملة . لا براز معاناتها التاريخية . وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والتنقيب عن المصادر المادية التي هي أساس كل دراسة علمية تخوض هذا الميدان .

الهوامش مرتبة حسب الفصول

الفصل الاول :

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, Payot, Paris, (1)
1949, pp. 21 - 23.

Op. Cit. p. 21. (2)

3) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، بيروت ،
1958 ، ص 64 - 65 .

4) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنطي وظهيره ، دار العلوم للملائين
بيروت ، 1959 ، ص 46 .

5) عرف هذا الجبل سابقاً باسم سافون (بالكنعانية) ، وكاسيوس
(باليونانية) ، والاقرع (بالعبرية) نظراً لخلو قمته من الاشجار .

6) محمد محمود الصياد ، جغرافية الوطن العربي ، الجزء الثاني ،
معهد البحوث والدراسات العربية 1968 ، ص 357 .

7) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنطي وظهيره ص ، 124 - 125 .

8) بجزرة ، ويلر (الain) وجامعة ، جغرافية العالم الأقليمية ،
الجزء الثاني ، ترجمة محمد حامد الطائي ، بيروت ، 1965 ، ص 34 .

9) محمد صبحي عبد الحكم ، وجامعة من الاساتذة ، الوطن
العربي (أرضه وسكانه وموارده) الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية .

القاهرة ، 1968 ، ص ، 99 .

10) فلبيح حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ، 76 - 69 .

11) المرجع السابق ، ص 76 - 69 .

12) هناك سببان رئيسيان يكمنان وراء هجرة الساميين من شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب :

— أما أن يكون هؤلاء الأقوام قد هاجروا إلى الشهال تحت وطأة العوز والفقر نتيجة تغيير المناخ في شبه الجزيرة العربية وبذلك يكونوا قد اتبعوا معاذة الانهار الدائمة البحريةان نحو الشهال في شكل قبائل رحل .

— أو أنهم خرجوا في شكل تجار لبيع منتجات أنعامهم التي كانوا يربونها ، وقد أشير إلى ذلك في القرآن الكريم (رحلة الشتاء والصيف) .

Herodote, I, 1. (13)

Strabon, I, II - 35; XVI, IV, - 27. (14)

15) كتاب التوارث التكوين ، 10 : 1 - 6 .

Justin, Tragée Pompee, Tome II, Livre XVIII, III. (16)

17) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظاهره ، ص 214 .

18) المرجع السابق ، ص 207 .

19) عبد العزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ، ج 1 ، دار الفكر الحديث بيروت 1967 ، ص 208 .

20) المرجع السابق ، ص 309 : احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1972 ، ص 82 .

21) عبد العزيز زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1966 ، ص 237 .

22) D. Hardon, the Thonicians, p. تشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن كلمة فيونيكس Phoenix-Phoenix تعني الدم الاحمر . وقد اطلقت لأول مرة على التجار الفنقيين لوجوههم البرونزية من تأثير لفح الشمس .

كما تذكر هذه الكتابات أيضاً إلى أن هذا الاسم يشير إلى حمرة البلح الذي كان من جملة بضائع الفنقيين التي تاجروا بها مع بلاد اليونان.

(23) كتاب التوراة ، سفر التكوين ، 10 : 19 - 20 .

G. Contenau, *la civilisation Phenicienne*, p. 288. (24)

(25) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 88 .

D. Harden, *The Phoenicians*, Thames & Hudson London, (26) 1963, p. 25.

(27) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 90 - اشتهر سكان جزيرة ارواد ببراعتهم في الحصول على مياه الشرب في الاوقات الصعبة ، وقد اتبعوا في ذلك طريقتين : أولاهما تخزين مياه الامطار التي تنزل من سطوح المنازل في صهاريج . والطريقة الثانية كانت تتخلص في استخراج الينابيع التي كانت غائرة تحت مياه البحر وذلك بواسطة استعمال قمع كبير من الفخار مقلوب بفضل استخراج الماء العذب فوق سطح مياه البحر المالحة .

Strabon, XVI, 2 - 13. (28)

J. H. Breasted, *Ancient Records*, Vols, 3, 1906, p. 362. (29)

(30) مدينة عمريت أو ماراتوس : ليست لدينا معلومات كثيرة حول هذه المدينة فيها عدا ما ذكره شاهد عمريت الذي يوْجَد كدليل على مدى تقدم فن النحت لدى سكان الساحل الفنقي .

(31) لا تشير المصادر القديمة إلى الاسم الفنقي للمدينة ، أمّا اسمها الأغريقي فهو تراپوليس (Trapolis) وهو يعني المدينة ذات الثلاث مدن .

(32) تعرف حالياً بالبِرُون ، وقد سماها اليونان (Botrys)

(33) جبيل هو اسم المدينة الحديث . أما جبلة (Gubla) فهي تسمية فنيقية . وقد سماها المصريون (Kepen) تحرير لاسم جبلة ، وقد عرفت عند اليونان باسم بيلوس (Byblos)

Pierre Montet, Byblos et L'Egypte, Tome XI, Librairie Orientaliste, Paris, 1928, p. 7. (34)

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 18. (35)

(36) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحبرية للطباعة ، بغداد 1972 ص ، 31 — 32 .

The Cambridge Ancient History, Volume II, Cambridge University Press, London, 1926, p. 306. (37)

Justin, Throgue Pompee, Tome II Livre XVIII, III; (38)

(39) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، الطبعة الاولى ، دمشق 1969 ص 132 .

(40) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 ، ص 122.

Strabon, XV, 2, 23. (41)

G. Contenau la civilisation Phenicienne, p. 120. (42)

Herodotus, I, 42 - 45. (43)

(44) رشيد الناصوري .، المغرب الكبير . ج 1 ، الدار القومية للطباعة القاهرة 1966 ص 161 — 162 ..

B. H. Warmington, Carthage, p. 74. (45)

(46) كتاب التوراة ، الملوك الاول ، ٥ : ١ — ١٩.

(47) فيليب حتي ، تاريخ سوريا وليبيا وفلسطين ، ج 1 ، ص 158.

(48) حاطوم ، عاقل ، طربين ، مدنی ، موجز تاريخ الحضارة ، ج 1 ، دمشق 1965 ، ص 241.

Pierre Reusei peuples et civilisation, Tome II, Felix Alcon, Paris 1928. pp. 332-334. (49)

The Cambridge Ancient History, Volume II, pp. 302-317. (50)

Raymons Weill, la Phenice et l'Asie occidentale, Armand Colin, Paris, 1939 p. 192. (51)

(52) أحمد فخری ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو

المصرية القاهرة 1963 ، ص 110 .

53) يُؤرخ لظهور الكتابتين المسارية والهير وغليفية بحوالي نهاية الالف الرابع ق . م وهناك من المؤرخين من يحاول اثبات سبق الكتابة الهير وغليفية للكتابة المسارية ثم العكس ، ولمزيد من الإيضاح ، انظر : هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة ميخائيل خوري بيروت 1959 ، ص 127 - 144 .

S. Moscati, histoire et civilisation des peuples semitiques, Payot, Paris, 1955, p. 121. (54)

. 55) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 120 - 121 .
Encyclopedie Britannica, Volume, 17 G.S.S. 1968, (56)
p. 894.

— 57) جون أ - هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 34
— 384 . 386

58) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 272 ، ملاحظة
6 - وقف علماء تحليل اللغات في أول الأمر عاجزين أمام عدد كبير من
اللوحات او غاريتية ، وظنوا أن كتابتها غير معروفة ، ولكنهم سرعان
ما توصلوا إلى حل الأشكال عندما قارنوا كتابة الألواح التي عثروا عليها
بالكتابية الكنعانية ، وكانت أغلب مواضع اللوحات تدور حول الأساطير
الدينية والاجتماعية في مدينة أوغاريت القديمة ،

Charles - Virellaund, le palais royal d'ugarit, Paris (59)
1965, p. 137; Claude F. A. Schaeffer, mission de Ras
Shamra, Tomè III, Paris 1939.

60) جورج كوتتو الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي
شعيرة ، شركة مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة 1948 ، ص 336 .

61) جون أ - هامرتين تاريخ العالم المجلد الثاني ، 386 - 387 .

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, pp. 254 - 255. (62)

أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 40 ، شكل رقم 18 .

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 259. (63)

Ronald Harden, the Phoenicians, pp. 116-123. (64)

65) جون أ - هامرتون ، المجلد الثاني ، ص 383 .

66) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، 122 .

67) فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص 121 .

68) فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص 124 .

D. Harden, the Phoenicians, p. 83. (69)

B. H. Warmington, Carthage, p. 74. (70)

الفصل الثاني

1) رشيد الناصوري ، المغرب الكبير ، ج 1 ، الدار القومية للطباعة
والنشر ، القاهرة 1966 ، ص 159 .

2) أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو
المصرية ، القاهرة 1960 ، ص 100 .

P. Montet, Byblos et l'Egypte, Tome XI, pp. 29-59. (3)

The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 538. (4)

5) يستفاد من الرسوم الملونة التي عثر عليها مزينة بحدائق مقابر بي
حسن ، بأن العلاقة كانت وثيقة بين المصريين والساميين ، وتتمثل في
الصورة جماعة هؤلاء المهاجرين ذوي اللحى الطويلة بنسائهم واطفالهم .
وكان رئيسهم يتقهقهم طالباً الساحر له ولقومه بالإقامة في مصر مقابل
تقديم الهدايا . وعلى ذلك فإن مصر في القديم كانت لا تقف في وجه
الهجرات الفردية او الصغيرة بل كانت فقط تقف في وجه الهجمومات
العسكرية .

6) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج 1 . ص 138 .

7) جون ولسون . الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري .
مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1951 ، ص 348 - انصرف اخناتون

انصرافاً تاماً عن شعور الامبراطورية . و كرس جهوده الى عبادة الآلهة أتون (قرص الشمس) الذي بني له معبداً في الهواءطلق في قلعة العمارنة . و نقل العاصمة من طيبة في الجنوب الى مديتها الجديدة ، ثم نقل معه كل وثائق المراسلات التي عثر عليها فيها بعد السير فلندرز بيترى سنة 1891 . وقد ترتب عن ثورة اختناقون الدينية أن شب نزع سياسى داخلى ، ترتب عنه خطف السياسة الدفاعية الخارجية لمصر .

8) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 ص 504 - 507 . تشير الوثائق المصرية الى انتصار رمسيس الثاني بفضل اعانة الآلهة أمون له على أعدائه . وقد غرق عدد من عظام الحشين في النهر أو أنهن سقطوا تحت سبابك خيل رمسيس ، و وجد من بين الأعداء شقيق ملك الحشين جائياً على ركبته . أما الوثائق الحشية التي وجدت في بوغاز كوي عاصمة الحشين . فتذكر بأن رمسيس الثاني هزم في معركة قادش ، وتراجع بعد ذلك النفوذ المصري في سوريا حتى بلدة (أبا - ABA) القرية من دمشق . وقد ضمت معظم بلاد الاموريين الى الحشين بعد معركة قادش .

The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 138. (9)

D. Harden, the Phoenicians, p. 50. (10)

(11) رشيد الناصوري ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 158 .

(12) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة 1966 ، ص 119 - 120 .

The Eneyclopedia Americana, Volume 21. p. 736. (13)

P. Cintas, Manuel d'Archologie unique, Tome I, p. 56. (14)

(15) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، ص 120 - هناك من يفسر علاقة أحيرام ملك صور بداول وسلیمان ملكى العبرانيين في الالف الاول ق . م بأنها كانت ناتجة ، على أن حيرام عندما رأى القوة الحربية للعراقيين وتوسعهم على حساب الارameans والموابيين

والادوميين في الداخل خشي من توسيعهم على حساب صور التي كانت
بiederها زعامة الفنقيين ، فتقرب من داود وعقد معه صداقة بقصد اشغاله
عن التفكير في التوسيع على حساب ممالك المدن الفنيقية

(16) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

B. H. Warmington, Carthage, p. 13. (17)

(18) فليبي حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ص ٦٤ .

(19) جون ولسون ، الحضارة المصرية ترجمة أحمد فخرى ، ص ،
. ١٥٤ .

(20) أحمد فخرى ، دراسات في التاريخ الشرق القديم ، مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٦٢ .

(21) فليبي حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ص ١١٠ .

P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puni., p. 249. (22)

(23) لمزيد من الايضاح حول قادس ومعادنها الشمينة ، انظر الفصل
الثالث الخاص بالتوسيع الفنيري في غرب المتوسط ، ص ٦٣ – ٦٤ .
Strabon, II, 0. (24)

Encyclopedia, Britannica, Volume 17, 1968, p. 827. (25)

The Cambridge Ancient History, Volume IV, p. 347. (26)

(27) أندريه أيمار ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف أسعد
داغر ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٥٦ .

D. Harden, the Phoenicians, p. 134, fig. 37 (28)

(29) أحمد فخرى ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٧٧ .

P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puinique, p. (30)

(31) عبد الحميد زايد ، الشرق الحالى ، ص ٢٨٥ – ٢٨٨ .

B. H. Warmington, Carthage, pp. 22-23. (32)

الفصل الثالث

G. Contenau, la civilisation phenicienne, Payot, Paris, (1
1949, p. 223.

G. Contenau, Ibid, p. 224. (2

. 18 — 1 : 5 .) كتاب التوراة ، سفر الملوك الاول .

. 150 .) فلييب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 . ص 4)
أحمد: سوسيت العرب واليهود في التاريخ ، ص 29 ، شكل رقم 22 .

G. Contenau, la civilisation phenicienne, p. 234. (5

Andre Parrot, Assur, Gallimard, Paris 1961, p. 8, fig. (6

A.P C. Harden, the Phoenicians, fig. 50.

. 106 .) فلييب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 . ص 7)
كانت دفة السفينية عند الفنقيين في القديم توضع في شكل مجندة في
عربيضين في مؤخرة السفينية ، أحدها إلى اليمين والآخر إلى اليسار .

G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 234-235. (8

. 131 .) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان . ج 1 الطبعة الأولى . دمشق
1966 ص

10) وجه القرطاجيون كل عنائهم إلى الأسطول الحربي منذ بداية
القرن الخامس ق . م (480) عند اصطدامهم لأول مرة في معركة
هيميرا (Himera) في صقلية بالتحالف الاغريقي الغربي الذي كان يقوده
الطاغية جيابون حاكم مدينة سيراكوزا .

11) فلييب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج 1 ، ص 108
— 110 —

. 36 — 3 : 27 .) كتاب التوراة ، سفر حزقيال ، 27 : 36 —

. 275 — 274 .) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد . ص

D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, (14
London 1963, p. 169, fig. 50.

The Cambridge Ancient History, Vols. (2), pp. 207-208. (15)
B. H. Warmington, Carriage, p. 46. (16)

أسست مستوطنة ماسيليا (مرسيليا حاليًا) في حوالي 600 ق. م من قبل الفوسين (Phocaen) وكان الهدف منها ربط الاتصال بيراكز المعادن في غربي أوروبا ، على المحيط الأطلسي ، حيث كانت القوافل تنطلق من ماسيليا عبر غاليا إلى شواطئ المحيط الأطلسي ، والبخار المنتشرة جنوب بريطانيا (كاسيتريدس) كورنوال ، للحصول على خامات القصدير . ونظرًا لأهمية هذه المدينة الاستراتيجية حاول الاتحاد الاترو斯基 الفنطي في القرن السادس ق. م الحيلولة دون وصول أغريق صقلية إلى ماسيليا .

17) هشام صفدي تاريخ الرومان الجزء الاول دار الفكر الحديث ، لبنان 1967 ، ص 55

S. Gsell, histoire ancien de l'Afrique, Tome I, pp. (18) 510-511.

19) جون أــ هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف المصرية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 172 — (Ram) تعني (رأس الكبش) وهي قطعة حديدية ناتئة في مقدمة السفينة تستعمل لضرب سفن الاعداء وقلبها
20) المرجع السابق ، ص 271 .

21) شارل أندريه جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج 1 ، ترجمة محمد ميزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 ، ص 97 .

22) جون أــ هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 271 .
Gustave Fougeres, peuples et civilisation, histoire (23) generale, Felix Alcan, Paris 1926, pp. 228. 232.

24) يقصد بكلمة استراتيجية هنا ظهور الموانيء الحربية ، الفصل بينها وبين الموانيء التجارية ، ويحتمل أن تكون قرطاجة ، في غرب البحر

الابيض المتوسط هي أول مدينة عملت بهذا المبدأ.

G. Contenau la civilisation phenicienne, pp. 228-229. (25)

S. Gsell, hist. ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, (26

pp. 59-60.

27) القاطون ، يعني المحوت ، الكلمة مشتقة من فعل قط ، ذلك لأن هذا المبناء تحته финикийون داخل الصخور ، مما يدل على البراعة الفنية العالية التي كان يتمتع بها финикиيون ، ولمزيد من الأدلة انظر :

Strabon, XVI, 23.

Strabon, XVII, 23. (28)

G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 56-57. (29)

Strabon, II, 4 sec. 4. (30)

Diodorus, V, 16. (31)

. (32) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ص 168 .

. (33) محمد كامل عياد تاريخ اليونان ، ج 1 ، ص 132 .

(34) فليب حتى ، لبنان في التاريخ ترجمة أنيس فريحة ونيقولا زياده مؤسسة فرنكلين للطباعة ، بيروت 1859 ، ص 118 .

(35) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1966 ، ص 276 .

The Cambridge Ancient History, Vols. I, p. 504. (36)

Herodotus, VI, 47, pliny, nat. hist. VI, 56; Strabon. (37)

(38) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، ص 157 .

— Herodotus, II 49; V. 57. (39) — تشير الاسطورة إلى أن —

أجنور (Agenor) ملك فنقيها كان قد أرسل ابنه قدموس للبحث عن شقيقته أوربا (Europe) التي اختطفها الآلهة زفت (Zafis) من مرج على الساحل الفنقي بعد أن وقع في حبها ، وفي كريت استعاد الآلهة زفت شكله الحقيقي ثم تزوج من أوربا فأحببت له الملك المشرع مينوس (Minos) ،

وتدكر أسطورة قدموس هذه الى أن أوربا القارة يمكن أن تكون أخذت
أسمها من اسم أوزبا (Europa) والدة الملك مينوس والتي تعني في اللغة
القديمة الغرب ولمزيد من الإيضاح أنظر فليب حتي ، لبنان في التاريخ ،
ص 144 .

Warmington, Carthage, p. 36. (40)

(41) محمد السيد غلاب الساحل الفينيقي وظهيرة ، دار العلم للملائين
بيروت 1959 ، ص 437 — Diodorus, sic. V, 35 §. 2.

The Cambridge Ancient History Vols. 4, p. 347. (42)

B. H. Warmington, Carthage, p. 15. (43)

(44) شارل أندريه جولييان ، تاريخ افريقيا الشالية ، ج 1 ص 85 .
P. Cintas, Manuel D'Archeologie Punique, pp. 251-258. (45)

(46) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج ، 118 .
G. Conteau la civil, Phenici. pp. 56-57. (47)

(48) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 111 .
Harden, the hoenicians, p. 171: Jean Mazel, avec les pheniciens, p. 164. (49)

كانت قادس أيضاً ت مثل قاعدة لحماية المضيق من المنافسين ، يمكن
استنتاج ذلك من اسم قادس نفسه Cadir الذي تعني بالفينيقية (قلعة
أو حصن) .

Warmington, Carthage, pp. 74-76. (50)

op. cit. pp. 42-43. (51)

Jacques Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale, Paris 1969, pp. 157-158. (52)

(53) هشام الصفدي ، نحو وعي أفضل للتاريخ الجزائري ، الاصالة .
العدد 8 ، ماي ، جوان ، الجزائر 1972 ، ص 270 .

Saluste, Bellum Jugurthinum, XVII, 4. (54)

B. H. Warmington, Carthage, p. 23. (55)

Op. Cit. pp. 23-24. (56)

P. Cintaspp, Manu., D'Archeo, punique, p. 469. (57)

Op. Clt. pp. 253-254. (58)

59) نظرية البوميرانغ مأخوذة من سلاح — البوميرانغ الذي يرمي فيعود الى قاده آلياً . ونشير اليه هنا كمقارنة وبيان للحركة التجارية الفنيقية التي لا بد أن تعود فوائدھا الى نقطة المراکز التي انطلقت منه لأول مرة (الساحل الفنيري) . وقد عالج هذه الفكرة الدكتور هشام الصفدي في محاضراته في جامعة الجزائر 1972 — 73

B. H. Warmington, Carthage, p. 29. (60)

61) رشيد الناصوري ، المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 55 .

D. Harden, the Phoenicians, p. 63; Jean Mazel avec les pheniciens, pp. 224-225. (62)

P. Cintas, manu d'archeo. punique, p. 373-374. (63)

D. Harden, the Phoenicians, fig. 23; P. Cintas Manuel D'Archeo. punique, pp. 378-382. (64)

D. Harden, the Phoenicians, p. 101. (65)

B. H. Wamninton, Carthage, p. 26. (66)

الفصل الرابع

1) سلطان مصطلح المغرب القديم بدلاً من شمال افريقيا ، وذلك لتلاوئه مع المفهوم الحديث للمنطقة .

Diodore De Sicile, Tome V. 25. (2)

Veleius Paterculus, hist. Rom., I, 2. 3. et suivre d'apres, (3)

P. Cintas, manuel d'archeologie punique, Tome I, Editions A. et J. Picard, Paris, 1970, p. 253.

S. Gsell, hist. ancienne, Tome I, p. 405. (4)

Pomponius. Mela, d'apres, P. Cintas, M. d'archeo. pomponius punique, Tome I, p. 252. (5)

G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme civilisations an- (6
cienne dubassin mediterraneen, editions Albin Michel.

. 23 — 22 : 10 ، سفر الملوك الاول ، ج 1 .

Pline, Vols., IV, 120. (8)

9) فلبيب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 110 .

B. H. Warmington, Carthage, p. 33.. (10)

S. Gsell, hist. anci. Tome, I, p. 409. (11)

Donald Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, (12
London, 1963, p. 63.

13) فلبيب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 143 .

14) هشام الصفدي ، تاريخ الرومان الجزء الاول دار الفكر الحديث
لبنان ، 1967 ص 153 . الحاشية رقم 1 .

يعرف هذا النصب بحجر نورا ، هو موجود حالياً في متحف فالري
جزيره ساردينيا .

S. Gsell, histoire ancienne. Tome I , p. 410. (15)

D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, (16
London, 1963, p. 63.

J.: Mazel; avec les pheniciens, Robert Laffont, Paris (17
1967, p. 227.

Thucydide, VI, 2. 6. (18)

B. H. Warmington, Carthage, pp. 31-32. (19)

S. Gsell, histoire ancienne, Tome I, p. 409. (20)

S. Gsell, Ibid., p. 409. (21)

B. H. Warmington, Carthage, p. 32. (22)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, (23
pp. 179-10.

24) شارل اندرى جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ، ص 91 .

The Cambridge Ancient History, Vols. 4 Cambridge (25)
University Press, 1964, p. 349.

P. Cintas, Manuel d'Archeo. punique, p. 334. (26)

Diodorus, Tome V, 12 secs. 2 - 4. (27)

P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 246. (28)

B. H. Warmington, Carthage, p. 77. (29)

يعرف نهر ليكسوس حالياً بنهر درعا (Draa) (30)

Strabon, XVII, 3.2. (31)

هناك أسطورة يونانية تذكر بأنه كانت توجد حول مدينة ليكسوس حديقة تحرسها الحماري ، وان الآلهة هرقل (Hercules) كان قد حصل منها على التفاحات الذهبية .

(32) أحمد المكناسي ، مدينة ليكسوس الاثرية ، دار كريمان ، طوان سنة 1961 ، ص 9 .

P. Cintas, Manuel, D'Archeo. punique. p. 24. (33)

J. Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale (34)
presses universitaires de France, Paris 1969, pp. 136-
137, Strabon, 1.2.3. (35)

Strabon, op. cit., III, 2, 14. (36)

S. Gsell, Hist. ancienne Tome I, pp. 360-361. (37)

P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 238. (38)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (39)
pp. 13-14.

B. H. Wamington, Carthage, p. 26. (40)

P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, pp. 294-298. (41)

B. H. Warmington, Carthage, p. 69. (42)

G. et C. C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, (43)
Paris 1970, p. 292.

(44) شارل أندرى جوليان ، تاريـخ افريقيـا الشـالية ، ج 1 ، ص
149 — من بين الموانيـء الفـنـيقـية الـتـي كانت لها حرـية المـلاـحة فيـ الـفـتـرة

الرومانية الباكرة في المغرب نذكر إلى جانب أوتيكا حدر ومت لطة ورأس ديماس ، وأشولة ثم تودالوس بالقرب من بنزرت .

(45) ٢ ، ١٠٣ (Strabon) — كان الفنقييون لا يراغون في سفنهم التجارية السريعة بقدر ما كانوا يهتمون بسعة السفينة ونظرًا لأن هذه السفن كانت لا تعتمد إلا على الأشرعة وعضلات المجدفين ، فإن المسافة التي كانت تقطعها السفينة في اليوم الواحد لا تتجاوز ٣٠ ميلًا بحريًا ، وكان التجار الفنقييون يستريحون خلال الليل من عناء التجذيف اليومي ، وعلى ذلك سميت المحطات التي كانوا يتزلجون فيها (محطات الاستراحة) .

غير أن الكثير من محطات الاستراحة المشار إليها انتقلت إلى محطات تجارية يلتقي فيها التجار الفنقييون بالسكان المحليين للتبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المبادلة ، عندما توفرت لها الشروط الملائمة لذلك .
Salluste, Jugurtha, XIX, I.

(46) ٤٧) بدأ العهد القرطاجي في بلاد المغرب منذ حوالي القرن السادس ق. م وبالتقريب اعتباراً من تأسيس مستوطنة إبیزا (Ibiza) في جزيرة الباليلار ٥٥٤ ق. م .

Polybius, I, 82. (48)

B: H. Warmington, Carthage, p. 221. (49)

G: et C. Picard, vie quotidienne à Carthage, p. 221. (50)

G. et C. Ibid., p. 221. (51)

Polybius, I, 87, XV 5, 3. (52)

Polybius, Ibid, XV, 5. 3. (53)

(54) — كانت السفن الفنيقية أو القرطاجية القادمة من الشرق إلى مدينة قرطاجة تفرغ حمولتها في مدينة نابل عندما تعرضها صعوبات اضطراب الأمواج التي تعيقها عن الدوران حول رأس يونة والدخول إلى خليج تونس . ثم تحمل هذه البضائع بواسطة القوافل عن طريق البر إلى مدينة قرطاجة .

55) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهريرة ، ص 477

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome (56)
II, Hachette, Paris 1818, pp. 149-151.

كان القديس أو غيسطين، هو من مواليد مدينة ثاغيست (The Caste) سوق أهراس حالياً. قد اتخذ عنابة (Hippo-Rigius) أسقفيّة لنشر الدين المسيحي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس للميلاد.

B. H. Warmington, Carthage, p. 70. (57)

Miriam Astrug, revue africaine. Nov. - Dec. 1935, (58)
pp. 221, 253.

S. Gsell, Atlas archeologique de l'Algérie, Tome I, (59)
Feuille No. 7 Alger 1911.

S. Gsell, Tome 2, pp. 159-160. (60)

S. Gsell, Atlas archeologique de l'Algérie, Tome I, (61)
Feuille No. 5.

B. Cintas, Rev. Africaine, (No. 91 - 92), 1948, pp. (62)
276 - 279.

P. J. Mesnage, fomanisation de l'Afrique, Gabriel (63)
Béauchesne éditeur, Paris 1913, pp. 17-19.

B. H. Warmington, Carthage, p. 70. (64)

شارل أندرزى جوليان ، تاريخ إفريقيا الشهالية ، ج 1 ، ص 109 (65)
S. Gsell, Tome, (2), pp. 164-166. (66)

M. Ponsich, recherches archeologique atanger et dans (67)
sa region, ed. (C. N. R. S.) Paris 1970, pp. 67-68.

68) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظهريرة ، ص 430 .

الفصل الخامس

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, (1
p. 397.

P. Cintas, Manuel d'Archeologie punique, p. 126. (2

٣) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج ٣ ،
ص ١٢٦ .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique, Tome I, p. 89. (4)

٥) بيرصة (Byrsa) : كلمة يونانية تعني جلد الثور، واطلاقها هنا
يمكن أن يكون تحريفاً لكلمة بورصة (Bourrsa) الفنتيقية التي تعني القلعة.

G. et C. Charles — Picard, la vie quotidienne a Car- (6
thage, Hachette, Paris 1958, p. 24.

(7) — كانت سبخة اريانة على البحر ولا
تحجبها كثبان رملية كما هو الحال اليوم ، لذلك لم يشر اليها بولبيوس
واعتبرها ضمن خليج تونس .

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (8
pp. 26-30.

٩) شارل اندرى جوليا ، تاريخ افريقيا الشهالية ، ج ١ ص ١٠٧ .

B.H. Warmington, Carthage, p. 141. (10)

M. Fantar, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, mai- (11
son tunisienne de l'édition, 1970, p. 57.

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome. (12
II, p. 39

op. cit. pp. 53-5. (13)

Archeologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 et Fev. (14
1969, pp. 58-59.

B.H. Warmington, Carthage, p. 140. (15)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (16
p. 35.

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (18
pp. 33-34.

(19) قارن بين ماوردفي :

1) Archeo. Vivante, Vols. I No. 2, Dec. 1968 Fev. 1969
I: p. 58.

2) Applan VIII, 117.

20) يحتمل أن يعود بناء سور مدينة قرطاجة ، إلى فترة التوسع التي تصادف القرن الخامس ق . م ولزيذ من الإيضاح أنظر :

B. H. Warmington Carthage pp. 140-141.

. 21) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ص 124 – 128 .

. 22) فايب حي ، تاريخ سوريا وفلسطين ، ج 1 ، ص 115 – 116 .

B. H. Warmington, Carthage, p. 151. (23)

اتبع الفنقييون والقرطاجيون طريقة المقايسة في علاقتهم التجارية مع شعوب غربي المتوسط ، وبقوا على ذلك حتى القرن الخامس ق . م حيث أخذوا عن الأغريق في صقلية سك العملة حسب العيار الثنائي . أما مدينة قرطاجة فلم تضرب عملتها إلا في بداية القرن الرابع ق . م حيث أقيم معهل لسك العملة على هضبة بيرصة .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 478. (24)

Th. Mommsen, histoire Romaine, Tome III, pp. 7 - 12. (25)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne à Carthage, p. 180. (26)

op. cit. p. 176. (27)

P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique. p. 433. (28)

Archologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 - Fev. 1969 pp. 37 - 38. (29)

C. Charles et C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, Paris 1970, p. 292. (30)

المقصود بكلمة الرومان هنا مجلس الشيوخ الروماني .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 3. (31)

Polybius I, 29 - 7. (32)

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome III, pp. 27-29. (33)

M. Fanter, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, (34
pp. 139-141.

(35) هشام صفدي ، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ، مجلة الاصلية
العدد ماي - جوان 1972 ، ص 165 ،

B.H. Warmington, Carthage, p. 260. (36)

الفهرس

3	مقدمة
الفصل الاول : البيئة والسكان	
7	أ . مقدمة جغرافية
8	— التكوين الارضي لساحل المتوسط الشرقي
11	— المناخ
11	— الثروة النباتية
12	ب . الفينيقيون في الشرق
15	— مالك المدن الفينيقية
24	ج . الكتابة الفينيقية
25	— اللغة الفينيقية
الفصل الثاني : عوامل التوسيع الفينيقي في البحر المتوسط	
28	1 — العوامل السياسية
32	2 — العوامل الاقتصادية
33	3 — العوامل الاجتماعية

الفصل الثالث : التوسع الفنيقية في غربي المتوسط

35	ا - نشوء البحرية الفنيقية
36	أ - البحريّة التجارّيّة
38	ب - البحريّة الحربيّة
41	ج - الموانئ
42	2 - مراحل التوسيع
44	أ - مرحلة الارتياح الباكرة
45	ب - مرحلة الاستيطان
46	ج - المشاكل التاريخيّة
47	- المصادر الكتابيّة
50	- المصادر الماديّة

الفصل الرابع : المستوطنات الفنيقية .

35	1 . المستوطنات في شبه الحوض الغربي للمتوسط
53	2 - المستوطنات في المغرب القديم
58	أ - المستوطنات الباكرة
61	ب - المحطات التجارّيّة
61	- شرقي قرطاجة
63	- غربي قرطاجة

الفصل الخامس : مستوطنة قرطاجة .

67	أ - تاريخ نشوء قرطاجة
67	- الوثائق الكتابيّة

69	— الوضع الطبوغرافي
71	بـ— النشاط الاقتصادي
71	— التجارة
72.	— الصناعة
73	— الزراعة
75.	خاتمة

فهرس هوامش الفصول

78	الفصل الأول
82	الفصل الثاني
85	الفصل الثالث
89	الفصل الرابع
93	الفصل الخامس

فهرس خاص بالخرائط والمخططات الإيضاحية

9	خريطة طبيعة وسياسية لساحل شرق المتوسط
21	مخطط مدينة صور
38	صور للمرأكب الفينيقية
54	خريطة التوسع الفينيقي في الحوض الشمالي الغربي للمتوسط
55	مخطط موقع مدينة قادس
60	خريطة المستوطنات الفينيقية في المغرب
70	مخطط مدينة قرطاجة في العهد الفينيقي

قائمة المراجع العربية المعتمدة في البحث

١ - نجيب مخائيل ابراهيم
مصر والشرق الادنى القديم الجزء
الثالث ، الطبعة الثالثة . دار المعارف ،
القاهرة 1966 .

٢- رولاند اوليقير
تاريخ افريقيا ، ترجمة عقبيلة محمد ود
رمضان الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة 1964 .

٣- اندرى ايمار
تاريخ الحضارات العام . المجلد الاول
والثاني ، ترجمة يوسف أسعد داغر .
مشهورات ، عوائدات بيروت 1964.

٤- محمد سليمان ايوب
جريدة من تاريخ الحضارة الليبية ، الطبعة
الاولى دار المصراوي للطباعة والنشر
ليبيا 1969 .

٥- طهه باقر
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .
الجزء الاول والثاني الطبعة الثانية ،
شركة التجارة والطباعة ، بغداد 1956.

٦- جيمس هنرى بربستد
انتصار الحضارة ، ترجمة احمد فخرى
مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1962.

7— عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..
المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت 1956 .

8— وليد الحادر الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر الطبعة الاولى ، مطبعة الاديب البغدادية بغداد 1972 .

9— شارل اندرى جوليان تاريخ افريقيا الشهالية ، الجزء الاول ، ترجمة محمد مزالى وبشير بن سلامة ، الدار القومية للنشر تونس 1969 .

10— فليب حتى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة بيروت 1958 .

11— فليب حتى لبنان في التاريخ ، ترجمة انيس فريحة ونيقولا زيادة مؤسسة فرانكلين للطباعة بيروت 1959 .

12— نسيب وهبة الخازن من الساميين الى العرب ، الجزء الاول ، مكتبة الحياة ، بيروت 1962 .

13— دريني خشبة اليادة هوميروس ، دار الهلال ، القاهرة 1970 .

14— محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1964 .

15— محمد عزة دروزة تاريخ الجنس العربي ، المجلد الثاني
الجزء الرابع ، منشورات المكتبة العصرية
صيدا — بيروت 1960 .

16— محمد عزة دروزة تاريخ موجات الجنس العربي ، المكتبة

العصريّة ، بيروت صيدا بدون تاريخ .

17- محمد عزة دروزة تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1969 .

قصة الحضارة الاجزاء الاربعة الاولى ،
ترجمة زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة القاهرة 1965 .

18- ول ديورانت الشرق الخالد ، دار النهضة العربية القاهرة 1966 .

19- عبد الحميد زايد تاريخ العالم الجزء الاول والثاني ،
ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة 1963 .

20- جورج سارتون تاريخ الرومان الجزء الاول ، دار الفكر الحديث ، لبنان 1967 .

21- هشام الصيفي مدينة المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الاول ، الدار التونسية للنشر بوسالمة تونس 1959 .

22- أحمد صقر جغرافية الوطن العربي ، الجزء الثاني معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968 .

23- توفيق الطويل قصة الكفاح بين روما وقرطاجة ، الطبعة الثالثة مكتبة مصر ، القاهرة 1955 .

24- عبد الحق سليم عادل روما والشرق الروماني في العهد الجمهوري حتى نهاية قصیر المطبعة الهاشمية ، دمشق 1959 .

25- محمد محمود الصياد معالم تاريخ الشرق الادنى القديم الجزء

26- عبد العزيز عثمان

الاول دار الفكر الحديث ، بيروت
. 1967

تاريخ اليونان ، الجزء الاول ، الطبعة
الاولى دمشق 1969 .

الساحل الفنيقي وظاهره ، دار العلوم
للملايين ، بيروت 1969 .

دراسات في تاريخ الشرق القديم مكتبة
الإنجلو مصرية ، القاهرة 1968 .

فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة
مخائيل خوري ، بيروت 1959 .

يوجرفة ، الطبعة الاولى الدار التونسية
للنشر ، تونس 1970 .

الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد
الهادي شعيرة ، شركة مركز كتب
الشرق الأوسط القاهرة 1948 .

هانيبال ، ترجمة رشاد الشنفي ، دار
الفكر العربي ، القاهرة 1962 .

موسوعة تاريخ العالم الجزء الاول ،
ترجم تحت اشراف محمد مصطفى
زيادة الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة
المصرية القاهرة 1959 .

شجرة الحضارة ، الجزءان الاول
والثاني ترجمة أحمد فخرى ، مكتبة
الإنجلو مصرية القاهرة 1958 .

29— محمد كامل عياد

30— محمد السيد غالب

31— أحمد فخرى

32— هنري فرانكفورت

33— محمد فنظر

34— جورج كونتنو

35— هارولد لام

36— وليام لانجر

37— والف لنتون

38— هـ . أ . مارو من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال بدران الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971 .

39— جورج مصر وعة هنيعل الجزءان الاول والثاني ، الطبعة الاولى دار الثقافة ، بيروت 1963 .

40— أحمد المكتابي مدينة ليكسوس الاثيرية ، دار كريعاديسن تطوان 1961 .

41— أحمد المكتابي خريطة المغرب الاركيولوجية ، دار كريعاديسن تطوان 1961 .

42— موسكاتي الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكير دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 .

43— رشيد الناصوري المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول بيروت 1962 .

44— رشيد الناصوري المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1986 .

45— حاطوم نور الدين موجز تاريخ الحضارة الجزء الاول ، دمشق 1965 .

56— جون 10 . هامرتن تاريخ العالم المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف القاهرة بدون تاريخ ما وراء التاريخ أحمد ابو زيد دار النهضة المصرية القاهرة 1965 .

48 - جون ويلسون الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1951 .

49 - هـ. جـ. ويلز موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز
توفيق جاويش ، مكتبة النهضة المصرية؛
القاهرة 1958 .

50 - جيز . هـ. ويلز (الابن) جغرافية العالم الاقليمية ، الجزء الثاني
ترجمة محمد حامد الطائي ، بيروت
. 1965 .

1 - الاصلة هشام الصفدي ، نسو وعي افضل
لتاريخ الجزائر ، العدد الثامن (ماي -
جوان) ، الجزائر 1972 .

2 - الحوليات الاثرية السورية كلود شيفر ، نتائج موسم الحفريات
التاسع عشر في رأس شمرا ، المجلد
السابع ، القرآن الاول والثاني سوريا
. 1957 .

المراجع الأجنبية

: 1) المصادر :

- 1 - Apian, VIII, I.
- 2 - Ibid., VII, XVIII.
- 3 - Diodorius, sic., Volume V.
- 4 - Herodote, I, II, V, VI.
- 5 - Justin, Trogue Pompee, tome II,, livre XVIII, III.
- 6 - Pliny, naturel histoiry, Volume VI.
- 7 - Polybius, I.
- 8 - Pomponius Mela, d'après Picnitas, Manuel d'archéologie punique, tome I, Paris 1970.
- 9 - Salluste, Jugurtha, bellum Jugurthinum, XVII, XIX.
- 10 - Strabon, I, II, III, XIV,
- 11 - Thucydid IV, VI.
- 12 - Velleius Paetculus, Hist. 1, 2, 3 et suiv d'après P. Cintas
Manuel d'archéologie, tome I, Paris 1970.

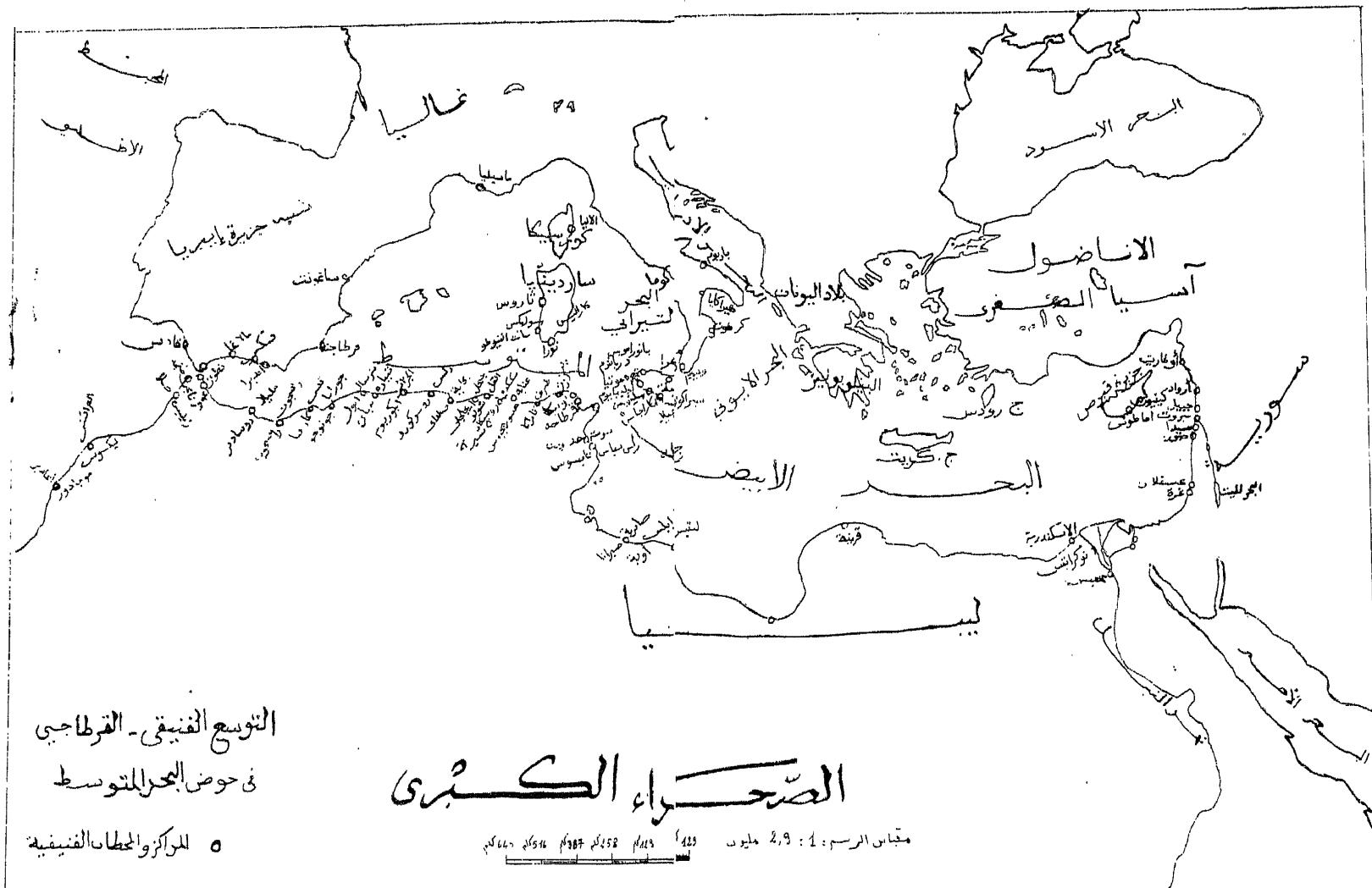
2) المراجع :

- 1 - A Lezine, curthage Utique, Paris 1968.
- 2 - A. Barrot, assur.
- 3 - B. H. Warmington, carthage Pelican Books, London 1964.
- 4 - CH. A. Julien, histoire de l'afrique du Nord T. I. Paris 1951.
- 6 - C.F.A. Schaeffer, Mission de Ras Shamra, tome III, Paris 1939.
- 7 - D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London, 1963.
- 8 - Encyclopedia Americana, Volume 21.
- 9 - Encyclopedia Britanica, Volume 17, G.S.S. 1968.
- 10 - G. Contenau, la civilisation phénicienne, Payot, Paris 1949.
- 11 - G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, Hachette, Paris 1970.
- 12 - G. et C. Charles Picard, vie et mort de carthage, Hachette, Paris 1978.
- 13 - G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme, Civilisations anciennes du bassin méditerranéen, Editions Albin Michel, Paris 1970.
- 14 - G. Fougeres, Peuples et civilisation. Histoire gènrale, Felex Alcan, Paris 1926.
- 15 - J. Heugon, Rome et la Méditerranée Occidentale, Paris 1970.
- 16 - J. Mazel, avec les phéniciens, Robert Laffont, Paris 1967.
- 17 - J.H. Breasted, Ancient Records, Vols. 3, 1906.

- 18 - Fanter, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, maison tunisienne de l'édition, Tunis 1970.
- 19 - M. Ponsich, Recherches archéologiques à tanger et dans sa Région, F. D.
- 20 - P. Cintas, Manuel d'Archéologie Punique, tome I.
- 21 - P. J. Manage, romanisation de l'afrique, Gabriel Beauchesne Editeur, Paris 1913.
- 22 - P. Montet, Bybloc et l'Egypte, tome XI Librairie Orientaliste, Paris 1928.
- 23 - P. Russel, peuples et civilisation, tome II, Felix Alcon, Paris 1928.
- 24 - R. Weill, la phénicie et l'asie accidentale, Armand Colin, Paris 1939.
- 25 - S. Gsell, Atlas archéologique de l'algerie, tome I, Algier 1911.
- 26 - S. Gsell, histoire ancienne de l'afrique, tome I, II, III, IV.
- 27 - S. Moscati, Histoire et civilisation des peuples Sémitiques, Payot, Paris 1955.
- 28 - The Cambridge Ancient History, Volume I, II, III, IV. Cambridge University Press, London 1926.
- 29 - Thès Mommsem, histoire Romaine, tome III, 1926.
- 30 - Titelive, Histoire Romaine, Paris 1832.

REVUES

- 1 - P. Cintas, Revue Africaine, (No. 91 - 91), 1948.
- 2 - Archéologie Vivante, Vols., I No. 2 Dec. 1968, Rev. 1969.
- 3 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archéologie Africaine) T. II. 1951.
- 4 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archéologie Africaine) T. V. 1954.
- 5 - M. Astrug, Revue Africaine — Nov. — Dec. 1935.
- 6 - Les cahiers de tunisie (Revue des sciences Humaines) T. XVIII No. 71/72 1970.
- 7 - T. A. Madhloum, Sumer, A Journal of Archoeology History In Iraq, Vol. XXIV — No. I — II — 1968.



الشكل م - 4 -

الشمن ١٦ ل.ل.
او ما يعادلها

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع



To: www.al-mostafa.com